

٢٦٠
١

الله ظهر في الجسد



www.christianlib.com

د. مئيس عبد النور

مؤلفهم كتابه



الله ظهر في الجسد

مكتبة
مكتبة التوحيد والوحدة والوحدة والوحدة
مكتبة التوحيد والوحدة والوحدة والوحدة
الرقم العام: ٦٠٧٧٧ / ١٥
الرقم الخاص: ١ / ٢٦
الرقم الفرعي: ١٥ / ١٥

د. منيس عبدالنور



طبعة أولى

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يجوز اقتباس أو إعادة
نشر أو طبع للكتاب أو جزء منه بدون إذن الناشر.

الكتاب: الله ظهر في الجسد

المؤلف: د. منيس عبدالنور

الناشر: مطبوعات نظرة للمستقبل

فكرة الغلاف: م. هدى سليمان

إخراج فني وتصميم غلاف و تجهيزات طباعة: القس نصرالله زكريا

رقم الإيداع: ٢٠٩٢٧ / ٢٠١٠

في هذا الكتاب

٥ مقدمة الناشر

الجزء الأول: ألوهية المسيح

- ١١ الفصل الأول: المسيح يعلن ألوهيته
- ١٧ الفصل الثاني: الرسل يعلنون ألوهية المسيح
- ٢٥ الفصل الثالث: المسيح كائن من قبل ميلاده
- ٣١ الفصل الرابع: ألقاب المسيح إلهية
- ٤١ الفصل الخامس: صفات المسيح إلهية
- ٥٥ الفصل السادس: معجزات المسيح
- ٥٩ الفصل السابع: مجد المسيح
- ٦٧ الفصل الثامن: عصمة المسيح

٧٣ الفصل التاسع: المسيح ابن الله

٧٩ الفصل العاشر: أهمية الإيمان بألوهية المسيح

الجزء الثاني: المسيح الإنسان

٨٥ الفصل الأول: براهين إنسانية المسيح

٩٥ الفصل الثاني: تجسد المسيح

١٠١ الفصل الثالث: الميلاد العذراوي

١٠٥ الفصل الرابع: تواضع المسيح

١٠٩ الفصل الخامس: المسيح ابن الإنسان

الجزء الثالث: عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد

١١٥ الفصل الأول: توافق ألوهية المسيح وإنسانيته

١٢٣ الفصل الثاني: وظائف المسيح الثلاث

١٣٥ الفصل الثالث: المسيح مكمل نبوات الوحي

١٤١ الفصل الرابع: حياة المسيح حققت خطة الخلاص

مقدمة السلسلة

رغم اقتناعنا - كمسيحيين- بأن الكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد المعصوم للإيمان والأعمال، إلا أننا كثيراً ما نقف عاجزين أمام صعوبة فهم الكلمة وتطبيقاتها في حياتنا العملية، خاصة في القضايا التي لم يرد فيها نصّ واضح أو تعليم مباشر. ويبدل كثير من المفكرين والكتّاب جهداً كبيراً في سبيل الوصول إلى المعاني الحقيقية التي تختبئ خلف النصوص «القديمة»، وفي سبيلهم لذلك تصدر الترجمات الجديدة والمختلفة للكتاب. بل إننا قد نجد أن نفس النص الكتابي كثيراً ما يختلف عليه الشارحون والمفسرون. وبينما يرى البعض أن ذلك قد يستب لبلة للشعب المسيحي، يرى آخرون أن الأمر يحتاج إلى قدر وافر من الاتضاع والتسليم بأنه لم يظهر بعد ذلك المفكر أو المفسّر الذي يحتل وحده ناصية العلم أو يمتلك الحقيقة المطلقة!! وأنه كلما كانت معرفة الدارس للكتاب المقدس عميقة، وكلما علا شأنه في ذلك المجال، كلما زاد بالتالي اقتناعه

بضرورة قبول الفكر الآخر واحترامه.

وفى هذه السلسلة، نحن معنيون بمحاولة شرح بعض المفاهيم اللاهوتية والكتابية، والتي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على أسلوب حياة المؤمنين بها ونظام عبادتهم لله. وبالرغم من أن النصوص التي نعتمد عليها كتبها «أناسُ الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بطرس ١: ٢١)، وهذه النصوص في مبادئها ومعانيها الأساسية هي صالحة لكل زمان ولكل مكان وأيضاً لكل إنسان، إلا أننا ندرك أنها كُتبت في واقع وتحديات تختلف عن واقع وتحديات عصرنا الذي نعيش فيه، ولذلك فهذه النصوص ربما تعالج مشكلات قد لا تكون هي ذاتها نفس المشكلات التي نعاني منها نحن اليوم في عصرنا الحالي. ومن هنا جاءت محاولاتنا عبر هذه السلسلة لشرح تلك المفاهيم حتى نستخلص منها ما يجيب عن تساؤلات وتحديات زماننا المعاصر.

إن هذه السلسلة تخاطب الإنسان الذي قبل الرب يسوع مخلصاً، أيا كانت خلفيته السابقة. ولهذا الإنسان المؤمن بالمسيح نحاول تقديم فكر كتابي «راق ومستنير» بشأن بعض المواضيع التي ثار حولها كثير من الجدل والنقاش. كان جهدنا أن تظل رؤوس الكتاب في السماء مستندين بقوة إلى كلمة الله، مسترشدين بالفهم الصحيح لها، ومتفهمين لفكر آباء الكنيسة الأولى، وكذلك آراء المتخصصين كل في مجاله. وفي نفس الوقت تتثبت أقدامهم على أرض الواقع البشري، بكل ما يموج فيه من تيارات وصراعات ومشكلات حياتية أصبحت من أكثر العوائق في طريق الخضوع للكلمة واتباع المسيح.

وفي هذا الكتاب يشرح لنا الوالد الدكتور القس منيس عبدالنور أهمية وضرورة

تجسد المسيح، الله الظاهر في الجسد، تحقيقاً لخطة الله الأزلية لخلاص الإنسان، وهو يقدم لنا هذا الموضوع اللاهوتي بأسلوب سهل وبسيط ورشيق، مجاباً على كل تساؤلات قد ترد لذهن القارئ.

ونحن إذ نقدم لك هذا الكتاب، فإننا نفخر به كإضافة هامة للمكتبة المسيحية العربية وعلى الأخص لمطبوعات نظرة للمستقبل.

ويبقى الأمل معقوداً على هذه الدراسات أن تكون مجرد لبنة في فكر المسيحي العربي الذي يحيا في ظل ثقافة مغايرة، تسعى بكل جهدها لكي «تقولب» حياته، وتشكل قيمه ومفاهيمه ومبادئه. وصلاتنا التي نرفعها إلى الله أن يكون لهذه المحاولة دورٌ في إعلان يسوع المسيح، «الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ انْشَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ انْشَانٍ، بِكُرِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُخَضِّرَ كُلَّ انْشَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». (كولوسي ١: ٢٨).

المهندس

فؤاد يوسف

الجزء الأول

ألوهية المسيح

الفصل الأول:

المسيح يعلن ألوهيته

شهادة المسيح عن ألوهيته هي أهم شهادة، فهو لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب، بل كان لديه اقتناع واضح أنه هو نفسه ذو طبيعة إلهية، فعندما كان عمره ١٢ عاماً سأله أمه أين كان، فأجابها: «لَمَّاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَتَّبِعُنِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟» (لوقا ٢: ٤٩). وهي إجابة تبرهن أنه نسب لنفسه مكانة مساوية لله الأب وقال: «أَنَا وَالْأَبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ٣٠).

وقال: «لَكِنِّي يُكْرَمُ الْجَمِيعُ الْإِنْسَانُ كَمَا يُكْرَمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرَمُ الْإِنْسَانُ لَا يُكْرَمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يوحنا ٥: ٢٣).

وقال: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي، وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ١٢: ٤٤، ٤٥).

وقال: «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ» (يوحنا ١٤: ٩).

وقال إنه ليس سواه يعلن الحق: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي،

وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْإِبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ» (متى ١١: ٢٧).

وفي مثل الكرامين الأشرار كشف المسيح أنه الابن وارث الكرمة، وأعطى نفسه مركزاً أسمى من الأنبياء. فهو الذي رُفض وذبح، كما أنه الذي صار «رَأْسَ الزَّائِرَةِ» (متى ٢١: ٣٣-٤٥).

وقال إن عمله مطابق لعمل الآب: «لَأَنَّ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الْإِبْنُ كَذَلِكَ» (يوحنا ٥: ١٩). فبعد أن شفى مفلوجاً في يوم سبت فهم سامعوه من اليهود أنه بهذا يعلن ألوهيته، فأرادوا أن يقتلوه فقال لهم: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوحنا ٥: ١٦-١٨).

وفي مناسبة أخرى حاول اليهود أن يرحموا فقال لهم: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي، بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟». فأجابوه: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً» (يوحنا ١٠: ٣٢، ٣٣).

وعندما اشتكوه لبيلاطس قالوا: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنًا لِلَّهِ» (يوحنا ١٩: ٧).

وتشهد كلمات المسيح في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض أنه الله، فلو أن إنساناً عادياً قال ما قاله لاعتبره البشر مجدفاً، لكن يسوع حث تلاميذه على أن يكون إيمانهم به مماثلاً لإيمانهم بالله، فقال: «أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي» (يوحنا ١٤: ١).

وقال إنه سينطلق إلى السماء ليعُدَّ لهم مكاناً، وسيعود ليأخذهم إليه. وقال إنه «الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤ : ٦) وإنه لا يمكن لأحد أن يأتي إلى الآب إلا به، وإن من يعرفه يعرف الآب، ومن يراه يرى الآب، وإنه والآب واحد. وقال إنه سيرسل إليهم الروح القدس ليكون لهم المعزي والرفيق والمعلم، فيحفظ تعاليمهم من الخطأ، وهو الذي يعطي البصيرة الروحية لكل المؤمنين، فهو المصدر الحقيقي لحياة الكنيسة، وعلى كل مؤمن أن يتحد به كما أن كل غصن حي يبقى متصلاً بالشجرة. وقال إنهم لم يختاروه بل هو الذي اختارهم، فهو قد خرج من عند الآب وأتى إلى العالم، وكان مزماً أن يترك العالم ليعود إلى الآب (يوحنا ١٤-١٦).

وفي يوحنا ١٧ نقرأ صلاته الشفاعية، وفيها طلب من الآب أن يمجّد الابن لأنّ تمجيد الابن يمجّد الآب. وفي صلاته هذه قال إنه يمنح الحياة الأبدية لكل الذين أعطاهم الآب له، وهي الحياة الناتجة عن معرفة الله التي ترتبط بمعرفة يسوع بالذات. والمجد الذي طلبه من الآب هو نفس المجد الذي للآب، وهو أيضاً ذات المجد الذي شارك فيه الآب أصلاً قبل تكوين العالم.

وأثناء محاكمته أمام مجلس السبعين (السندريم) أعلن يسوع ألوهيته، فحكم عليه بالموت لأنه «جذّف». فعندما سأله رئيس الكهنة: «أأنت المسيح ابن المبارك؟». أجابه: «أنا هو، وسوف تُبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء». فمزّق رئيس الكهنة ثيابه وقال: «ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجايف! ما رأيكم؟». فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت» (مرقس ١٤ : ٦١-٦٤).

وبعد قيامة المسيح من الموت وقبل صعوده قال لتلاميذه: «دُفِعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ١٨-٢٠). وبهذا أورد اسمه «الابن» كواحد في الثالوث الأقدس، الذي هو «الآب والابن والروح القدس». وقال إنه يملك «كل سلطان في السماء وعلى الأرض». وقال إنه موجود مع أتباعه كل الأيام، ولا عجب، فهو موجود وحاضر في كل مكان.

وقال إن المعمودية تُمارس المعمودية «باسم الآب والابن والروح القدس». وهذا يعلمنا أن الله واحد، فيقول «عمِّدوهم باسم» ولا يقول «بأسماء». فإلهنا واحد في ثلاثة أقانيم أو كيانات متميزة، لكل واحد اسم خاص به.

ولم يقل المسيح أن تكون المعمودية تكون باسم «الآب وابن وروح قدس» بحذف أل التعريف عن أقنومي الابن والروح القدس، كما لو أن الأمر كان يخص أقنوماً واحداً له ثلاثة أسماء، فالأمر عكس ذلك. كل أقنوم في الثالوث الأقدس سُمِّي بصيغة المفرد، و«أل التعريف» كررت لكل منهم بصورة دقيقة وواضحة. فمع أن الأقانيم الثلاثة موحدون في طبيعة وصفة واحدة (أي الله) إلا أنهم يبقون متميزين كأقانيم، الواحد عن الآخر. وقد أكد المسيح في هذه الوصية أن إيمان أتباعه، ومن يؤمنون بواسطة مناداتهم بالإنجيل، مبني على اسم الله المثلث الأقانيم «الآب والابن والروح القدس». ومما لا شك فيه أنه قد أشار إلى نفسه في اسم «الابن» واضعاً نفسه على ذات المرتبة مع «الآب» و«الروح القدس» ذلك أنه معهما الإله الواحد السرمدى الكائن بذاته.

شهد يسوع المسيح أنه يتمتع بصفة الألوهية، ولا بد لكل من يدرس العهد الجديد بطريقة موضوعية أن يصل إلى نفس النتيجة. وهذا هو الانطباع السائد بين الجماهير الغفيرة من قراء العهد الجديد عبر العصور والأجيال.

الفصل الثاني:

الرسل يعلنون ألوهية المسيح

تتفق شهادة كُتَاب العهد الجديد مع تعاليم المسيح وشهادته عن ألوهيته. وقد قام جميع من أوحى الله إليهم بكتابة هذه الأسفار بتسجيل تعاليم ومعجزات المسيح مقترضين صدق كلامه عن ألوهيته، وكانوا هم أيضاً أعظم وأنسب وأصدق شهود لألوهيته، لأنهم عرفوه عن قُرب. وقال عنهم المسيح: «وَتَشْهَدُونَ أَنَّكُمْ أَيْضاً لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِيتِدَاءِ» (يوحنا ١٥ : ٢٧).

شهادة الملاك جبرائيل: ظهر الملاك جبرائيل لزكريا وأخبره أن زوجته العاقر أليصابات ستلد ابناً يقوم بمهمة خاصة هي أنه «يَتَقَدِّمُ أَمَامَهُ (أمام المسيح) بِرُوحٍ إِبِلِيَّا وَقُوَّةٍ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الْأَبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ وَالْعَصَاةِ إِلَى فِكْرِ الْأُبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدًّا» (لوقا ١ : ١٧).

ثم ذهب الملاك نفسه إلى العذراء مريم وأخبرها أنها ستكون أما للمسيح المنتظر وأخبرها بأن طفلها

«يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى تَيْتَ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ» (لوقا ١: ٣٢، ٣٣). وهذه صفات خاصة بالله وحده.

ثم قال الملاك لها إنها «سَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ، لَأَنَّهُ يَخْلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (متى ١: ٢١) وهذه مهمة يستحيل على إنسان أن ينجزها. وعَلَّقَ البشير متى على نبوات العهد القديم هذه بالقول: «هَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكِي يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عِمَّا نُوْنِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللهُ مَعَنَا) (١: ٢٢، ٢٣) وهي نبوة وردت في نبوة إشعياء ٧: ١٤.

شهادة المجوس: (حكماء المشرق) أصحاب البصيرة الروحية المعجزية، فبعد سفرهم الطويل طلباً للملك المولود «خَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ» (متى ٢: ١١). وهو سجدوا لا يجوز تقديمه إلا لله.

شهادة يوحنا المعمدان: قال إنه مجرد ممهّد لطريق الآتي بعده وهو أعظم منه بكثير، حتى أن يوحنا لا يستحق أن يحمل حذاءه، أي أن يكون خادماً له (متى ٣: ١١).

وعندما ظهر المسيح وتعمد بالماء رأى المعمدان السموات مفتوحة، وروح الله نازلاً على المسيح، وصوت الله الأب من السماء يقول: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ» (متى ٣: ١٧). وفي اليوم التالي قال

يوحنا عن المسيح ثلاثة تعليقات: «هُذَا حَمَلَ اللهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ»؛ و«الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»؛ و«هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ» (يوحنا ١: ٢٩، ٣٣، ٣٤).

شهادة الرسول يوحنا: ونجدها في ثلاثة مواقف:

(أ) **شهادة يوحنا في بشارته:** يفتتح يوحنا بشارته بتصريح واضح عن ألوهية المسيح، ويقول: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ» (يوحنا ١: ١). ونسب إليه أموراً لا تُنسب لغير الله، فالكلمة وسيلة التعبير عن الفكر، هي بالذات نسبة المسيح إلى الله. الكلمة تكشف عن فكرة معينة، والمسيح يكشف عن الله بالذات نسبة المسيح إلى الله. الكلمة تكشف عن شخصية المتكلم والمسيح كشف لنا ذات الله، وأظهره للبشر: «الله لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨).

وأوضح يوحنا أزلية المسيح في قوله «فِي الْبَدْءِ» فمن بدء خلق العالم كان المسيح «موجوداً» مع الآب كأقنوم مشارك في الألوهية. ومع أنه كان أقنوماً متميزاً، إلا أنه لم يكن كائناً منفصلاً عن الله، فالكلمة كان «عند الله». فهو «الكلمة» (المسيح) الكائن في البدء قبل كل شيء. ليس ذلك فقط بل نرى أن «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا ١: ٣). ويقول يوحنا في عدد ١٤ «وَالْكَلِمَةُ

صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا».

(ب) شهادة يوحنا في رسالته الأولى: كتب أن المسيح: «قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَهُوَ مِنَ اللَّهِ» (١ يوحنا ٤: ٢). فالمسيح لم يكن رفيق الله الأزلي فقط، بل هو الإله الأزلي بالذات. استعمل يوحنا كلمة «جسد» ليشير بصورة عامة إلى الطبيعة البشرية بما تتضمنه من محدودية وضعف. وكشف في مقدمة بشارته عن حقيقة الله الأزلي وهو يأخذ وجوداً يشارك فيه سائر البشر.

(ج) شهادة يوحنا الرائي: أخبرنا في معرض وصفه للمدينة السماوية المقدسة (أورشليم الجديدة) «وَالْمَدِينَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا إِلَى الْقَمَرِ لِضِيئِهَا، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْحَمْلُ سِرَاجُهَا» (الرؤيا ٢١: ٢٣). والتعبيران «الله» و«الحمل» هنا مترادفان، يتحدثان عن واحد هو يسوع المسيح.

شهادة الرسول بطرس: قال بطرس للمسيح: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ» (مت ١٦: ١٦).

وقيام الرسل بالمعجزات دليل إضافي على ألوهية المسيح. فالمعجزة التي شفى فيها بطرس أعرجاً يشد عند باب الهيكل فعلها بطرس باسم المسيح، إذ قال للرجل: «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ» (أعمال

الفصل الثاني: الرسل يعلنون ألوهية المسيح

٣: ٦). فشفي الرجل ومشى. واعتاظ اليهود جداً، واعتقلوا بطرس ورفيقه يوحنا لمحاكمتهما. وفي دفاع بطرس عن نفسه قال: «إِنْ كُنَّا نَفْخَصُ الْيَوْمَ عَنْ إِحْسَانٍ إِلَى إِنْسَانٍ سَقِيمٍ بِمَاذَا شُفِيَ هَذَا، فَلَيْكُنْ مَغْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ الَّذِي صَلَبَّتُمُوهُ أَنْتُمْ، الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِذَلِكَ وَقَفَ هَذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحًا» (أعمال ٤: ٩، ١٠).

شهادة توما: سجد توما للمسيح وقال: «رَبِّي وَإِلَهِي» (يوحنا ٢٠: ٢٨). وقيل المسيح سجوده واعترافه.

شهادة استفانوس: أما استفانوس أول شهيد مسيحي فقال قبل استشهاده: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنِ الْإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ» (أعمال ٧: ٥).

شهادة بولس: كتب لتلميذه تيموثاوس يقول إنه يعلم أن الله تجسد في الإنسان يسوع المسيح «وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٍ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١ تيموثاوس ٣: ١٦).

وعندما أخرج الرسول بولس الروح الشرير من امرأة قال للروح الشرير: «أَنَا أَمُرُكَ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا. فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ» (أعمال ١٦: ١٨).

وشهد بولس في تعليمه مراراً لألوهية المسيح. وحالما اهتمدى إلى المسيح ذهب إلى مجامع اليهود في دمشق يبشر بالمسيح قائلاً: «هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ» (أعمال ٩: ٢٠). وقال في رسالته إلى أهل كورنثوس إن المسيح «صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمُنْظُورِ»؛ وإن «فِيهِ يَجُلُّ

كُلِّ مِلْءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا» (كولوسي ١: ١٥ و ٢: ٩). وقال لأهل كورنثوس: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢ كورنثوس ٥: ١٩). وقال لأهل رومية عن اليهود: «وَمِنْهُمْ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهَا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ» (رومية ٩: ٥). وقال لأهل فيلبي إن المسيح إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ» (أي مشاركاً كلياً في الطبيعة والصفات الإلهية) «لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ» (أي أنه لم يكن مختلساً وهو يحسب نفسه مساوياً لله). «لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَجْذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وَجَدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسانِ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتِ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٧، ٨) وهكذا أصبح إنساناً قابلاً لنفسه محدودية الطبيعة البشرية، وقدم نفسه وهو الإله المتجسد بديلاً عن شعبه، وبهذا أنجز عمله الخلاصي في حمله عقاب خطاياهم. «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً» (أي أن المسيح الإله المتجسد رُفِعَ، وأن الطبيعة البشرية المتواضعة التي أخذها على نفسه هي التي نالت المجد والإكرام). ثم قال إن الأب: «أَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (وهو اسم يسوع أي مخلص) «لِكَيْ تَخْتَبُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ» (التعبير رب يدل هنا على الربوبية أو الإلوهية المطلقة).

ويشير بولس إلى القيامة كبرهان حاسم على لاهوت المسيح فيقول: «وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا» (رومية ١: ٤).

شهادة كاتب رسالة العبرانيين: ينسب الكاتب الربوبية والألوهية للمسيح، فيبدأ بالقول إن الله كلم البشر في الأزمنة القديمة (أي في أيام التوراة) بواسطة الأنبياء،

الفصل الثاني: الرسل يعلنون ألوهية المسيح

مستخدماً أساليب متنوعة «الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ. الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي» (عبرانيين ١ : ٣-١).

شهادة قيامة المسيح: وهي البرهان الأعظم على طبيعته الإلهية. لم يكن موت المسيح وقيامته رغم إرادته، بل كانا في نطاق قوته واختياره، فقال عن حياته: «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعِي وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذُهَا أَيْضًا» (يوحنا ١٠ : ١٨). وكان قد تنبأ مراراً عن قيامته من الموت قائلاً: «إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيَقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ» (مرقس ٨ : ٣١ و٩ : ٣١ و١٠ : ٣٣-٤٤ ولوقا ١٨ : ٣٣ و٢٤ : ٧ ومتى ٢٠ : ١٩ و٢٧ : ٦٣).

شهادة تاريخ الكنيسة: تُظهر سجلات التاريخ منذ نشأة الكنيسة أن الشهود قدموا شهاداتهم لسيدهم وربهم بكل أمانة، واستشهد كثيرون منهم في سبيل إيمانهم بالمسيح. وهناك مؤمنون لم ينتسبوا إلى مجموعة رسل المسيح، منهم قائد الكتبية الرومانية المكلفة بصلب المسيح، فأعلن: «حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!» (مرقس ١٥ : ٣٩).

بل حتى الأبالسة (الكائنات الملائكية الذين سقطوا وأصبحوا شياطين) الذين كانوا

على معرفة بعظمة المسيح الإلهية قبل تجسده، عندما أمرهم المسيح أن يخرجوا من الأشخاص الذين كانوا قد سيطروا عليهم، صرخوا وهم يخرجون: «مَا لَنَا يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟» (متى ٨: ٢٩).

الفصل الثالث:

المسيح كائن من قبل ميلاده

أعلن المسيح أموراً جوهريّة عن نفسه، وعرّفنا أن وجوده لم يبدأ عند ولادته في بلدة بيت لحم، بل إن وجوده سابق لميلاده من العذراء المباركة، إنما هو «أتى» أو «نزل» من السماء إلى الأرض، وأنه «أُرسل من الآب» الأمر الذي يشهد لأصنه السماوي، فليس لوجوده بداية ولن تكون له نهاية، فهو البداية والنهاية.

وكان هو يدرك وجوده الأزلي، فهو في مكانة أعلى وأهم من مكانة أصله البشري. وهذا يفسر لنا تعليمه عن الأمور الروحية السامية، وطلبه من سامعيه أن يكتفوا حياتهم بحسب تعاليمه، فهو الذي قال: «لَا تَتَطَنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ» (متى ٥: ١٧)؛ و«لَا تَتَطَنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأُلْقِيَ سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لَأُلْقِيَ سَلاماً بَلْ سَيفاً. فَإِنِّي جِئْتُ لَأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْإِثْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكُنَّةَ ضِدَّ

حَمَاتِيهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ» (متى ١٠: ٣٤-٣٦). ولا يعني هذا ممارسة العداوة والخصام، بل يعني أن حياة الإيمان الجديدة تُسبب عداً ومعارضةً لأصحابها، حتى أن أهلهم ومجتمعهم ينبذونهم.

وقال لتلاميذه: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضاً، لِأَنِّي لِهَذَا خَرَجْتُ» (مرقس ١: ٣٨) فإنه «لَا يَخْتِاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَنْزَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مرقس ٢: ١٧) «لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيُنْزِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٠: ٤٥). ولا غرابة، فإن «ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١٠).

وسجل البشير يوحنا بعض ما علمه المسيح في هذا الموضوع:

قال المسيح: «لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يوحنا ٣: ١٣).. «الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الْأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الْأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَمَا رَأَاهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ، وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ، لِأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ» (يوحنا ٣: ٣١-٣٤). وقال المسيح: «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ، لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ» (يوحنا ٨: ١٤). «وإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبِينُ فَدَيُوتَنِي حَقٌّ لِأَنِّي لَسْتُ وَخْدِي بَلْ أَنَا وَالْأَبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٨: ١٦). «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلِ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقِ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ»

(يوحنا ٨: ٢٣). «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الْآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الْآبِ» (يوحنا ١٦: ٢٨).

ولم يقل المسيح إنه كان موجوداً قبل مجيئه إلى العالم فقط، لكنه قال أيضاً إنه كان موجوداً منذ الأزل. قال: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨)، وقال: «وَالآنَ مَجْدَنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبِ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» «لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِثْنَاءِ الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ٥، ٢٤).

وهذا يدل على أن علة وجوده هي من ذاته وليست من مصدر خارجي. وقوله «أنا كائن» هو اسم الجلالة الذي ورد في التوراة «أَهْيَه الَّذِي أَهْيَه» (خروج ٣: ١٤) ويعني عظمة الله وجلاله، وليس فقط وجوده. «أهيه» أو «يهوه» هو الاسم العبري لله، والمترجم في العربية «الرب». والترجمة الحرفية للتعبير «أهيه الذي أهيه» هي: «الكائن الذي هو كائن» وهو الاسم الذي يعلن أن الله هو وحده الكائن الأزلي، الذي وحده يتصرف بكل حرية واستقلال. وهو الاسم الذي عرّف به الله نفسه لعبده موسى. ونسب يسوع لنفسه ذات الاسم «الكائن الذي هو كائن» أي الله الكائن بذاته منذ الأزل. وهو الاسم الذي نسبته سفر الرؤيا للمسيح فيقول: «أَنَا الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» (رؤيا ٢٢: ١٣).

لم يكشف يسوع إذن عن وجوده السابق للتجسد فحسب، بل قال أيضاً إن ذلك الوجود أزلي. ويتفق هذا مع ما قاله عنه الآخرون.

قال يوحنا المعمدان عن المسيح: «يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي» (يوحنا ١: ٣٠). بالطبع لم يكن المقصود هنا أن يسوع وُلد قبل يوحنا المعمدان، لأن المعمدان وُلد قبل يسوع ببضعة أشهر، ولكن المقصود بالقول «صار قدامي» أن رتبة المسيح أسمى من رتبة يوحنا. فالمسيح هو الكلمة، ذو الكيان السابق، المعادل للآب في كل شيء بما في ذلك عملية الخلق. يسوع المسيح هو الأساس الذي «صَارَ جَسَداً وَحَلَ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤).

وقال بولس الرسول عن المسيح: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَجَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ» (١ تيموثاوس ١: ١٥) وكتب: «فِيهِ (أي في المسيح) خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشاً أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي ١: ١٦، ١٧)، وكتب لتيموثاوس أن: «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١ تيموثاوس ٣: ١٦).

وقال كاتب رسالة العبرانيين: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨). فالمسيح «هو هو» في هذا الجيل الحاضر كما في الماضي القريب أو البعيد. «هو هو» في المستقبل أيضاً. وفي هذا المسيح الثابت، الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران، يجد المؤمن سنده وملجأه الأبدي الأكيد.

وقد سجّل أنبياء العهد القديم نبوات بخصوص المسيح المنتظر تؤكد حقيقة وجوده قبل مجيئه إلى الأرض، أظهرت أن وجوده أزلي، وقبل أن يوجد الزمن نفسه. هذا ما

وضحه النبي ميخا الذي كتب سفره نحو عام ٧٠٠ ق م. فقال في نبوته عن مكان ولادة المسيح: «أَمَا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفٍ يَهُودًا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ مِنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ» (ميخا ٥: ٢) والنبي إشعياء الذي عاش معاصراً للنبي ميخا قال: «وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشْبِيراً، إِلَهَا قَدِيراً، أَبَا أَبَدِيًّا، رَبِّيسَ السَّلَامِ» (إشعياء ٩: ٦).

ويتفرّد المسيح بأنه الشخص المنتظر مجيئه، فلا توجد توقعات بمجيء غيره من الشخصيات التاريخية كالإسكندر الكبير أو نابليون أو غيرهما. أما المسيح فكان المخلص المنتظر. فمنذ سقط أبوانا الأولان آدم وحواء في خطية العصيان، جاءهما الوعد الإلهي بقدوم المخلص، وأن نسل حواء سيَسْحَقُ رَأْسَ الْحَيَّةِ (تكوين ٣: ١٥). وهذا ما تحقق في عمل المسيح الكفاري وانتصاره على إبليس. وقد وُصف في الأسفار المقدسة أنه «نزل» من السماء إلى الأرض؛ وشارك الأب في مجده منذ الأزل؛ وقال: «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الْأَبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الْأَبِ» (يوحنا ١٦: ٢٨). وتؤكد كلماته هذه أنه يعتبر نفسه زائراً للأرض من عالم أسمى، وأنه جاء في مهمة سماوية خاصة على الأرض لخلاص البشر وفدائهم.

قال أحد كبار اللاهوتيين: «في دراستنا ليسوع المسيح، من المهم جداً أن نفهم حياته في ضوء وجوده السابق لقدمه إلى عالم البشر. فلم يكن تجسده مجرد ولادة رجل عظيم، لأن تجسد المسيح يعني دخول الله إلى حيز ومحيط وجود البشر. ونحن نؤمن أنه في يسوع المسيح نلتقي وجهاً لوجه مع الإله المتجسد. وإدراكنا لهذا الأمر يولد فينا

تقديرًا للخدمة التي جاء للقيام بها، فإن ابن الإنسان «لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠ : ٢٨).

الفصل الرابع:

ألقاب المسيح إلهية

أعلن الملاك ليوسف وللمريم أن اسم الطفل سيكون «يسوع» ومعناه مخلص، فقال ليوسف عن مريم: «فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (متى ١: ٢١) وقال لمريم: «وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ» (لوقا ١: ٣١). و«يسوع» هو الصيغة اليونانية للاسم العبري «يشوع» الذي يعني «يهوه هو الخلاص». وقد عبّر هذا عن أهمية المهمة الخلاصية التي جاء يسوع المسيح لينجزها.

واسمه «المسيح» ومعناه «الممسوح» من الله وهو اللقب المعروف لمن يخلص الآخرين، وكثيراً ما استعمل كاسم علم. ولهذا أساس قوي ومتواصل في تاريخ بني إسرائيل فكانوا يمسحون ملوكهم بالزيت (١صموئيل ٩: ١٦ و ١٠: ١ و ٢صموئيل ١٩: ١٠) فكان الملك أحياناً يدعى «مسيح الرب» (١صموئيل ٢٤: ٦). إذا لقب «المسيح» هو للتذكير أن الملك عظيم جداً. أما الاسم

المركب «يسوع المسيح» فيعني «المخلص الممسوح» أي المخلص صاحب المكانة عند الله.

يبين لنا العهد الجديد أن يسوع تقبل من الناس أسمى الألقاب، فسمح أن يصفوه بما يوصف به الله، مع أنه منع غيره من قبول ألقاب مثل «المعلم» أو «السيد» (متى ٢٣: ٨-١٠) بينما قبلها لنفسه (يوحنا ٤: ٣١ و ٩: ٢). بل إنه مدح من نادوه بها وقال: «أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ» (يوحنا ١٣: ١٣). وعندما كانوا يهينون لدخوله الانتصاري لأورشليم، أرسل اثنين من تلاميذه لياتيا بجحش، وأمرهما أن يقولوا لصاحبه إن «الرب محتاج إليه» (مرقس ١١: ٣).

ويُدعى المسيح «سيداً» ليس فقط بالمعنى الذي يُقال لبعض البشر أصحاب السلطة أو المكانة، بل بمعنى كونه السيد الأسمى ومطلق السيادة في ملكوته، وهو رب المؤمنين به. فقيل عنه «وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.. إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ» (لوقا ٢: ١١ و ٦: ٥). وقيل «وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ، لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ.. الرَّبُّ قَرِيبٌ» (فيلبي ٢: ١١ و ٤: ٥). وقيل «رَبِّ الْمَجْدِ» (١كورنثوس ٢: ٨). وكتب بولس الرسول: «لَأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ» (رومية ١٠: ٩). وقيل: «يُبَشِّرُ بِالسَّلَامِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ. هَذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ» (أعمال ١٠: ٣٦). وجاء في سفر الرؤيا: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي».. «أَنْتَ مُسْتَحَقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بَارِادَتِكَ كَانَتْهُ وَخُلِقَتْ».. «وَلَهُ عَلَى تَوْبِهِ وَعَلَى فَحْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ

الْمَلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ» (الرؤيا ٤: ٨ و ٤: ١١ و ١٩: ١٦).

لقد أعلن الوحي المقدس المسيح «رباً على الجميع» للذين في السماء والذين على الأرض، فله يجب أن تسجد جميع المخلوقات اعترافاً بسلطانه المطلق لأنه الخالق والفادي.

وكان الرسول بولس يحيي قُرَاء بعض رسائله بقوله: «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِيْنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (راجع رومية ١: ٧ و ١ كورنثوس ١: ٣ و ٢ كورنثوس ١: ٢ و غلاطية ١: ٣) وهي تحية تشهد للإيمان بالله الذي يعبد المسيحيون، وتؤكد مساواة المسيح الكاملة للآب، فهما متحدان معاً بلا انفصال أو تفريق في وحدانية جوهرهما، ومع ذلك فإنهما يتمتعان باستقلال ذاتي، فبعض الأعمال تُنسب للواحد دون الآخر، فيقول في غلاطية ١: ١ «يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللَّهُ الْآبِ، وَرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا». أما في البركة الرسولية فيقال: «نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (٢ كورنثوس ١٣: ١٤) ففيها يبقى اسم الرب يسوع المسيح مرتبطاً في مساواة مطلقة مع الآب والروح القدس، كمصدر لكل بركة روحية.

كانت قد نُسبت أسماء متنوعة وكثيرة لله في العهد القديم، نسبها العهد الجديد أيضاً للمسيح. فعندما سجل البشير متى ولادة المسيح نسب إليه الاسم «عمانويل» فقال: «وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عِمَّاْنُوئِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا) (متى ١: ٢٢، ٢٣ وإشعيا ٧: ١٤).

ويعلن العهد الجديد ظهور المسيح ملكاً وفادياً في هيئة شخصية أزلية، فيقول يوحنا الرائي: «فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيْتٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ الِئْمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي: لَا تَخَفْ، أَنَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيِّتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَوَايَةِ وَالْمَوْتِ» (رؤيا ١: ١٧، ١٨). ويقول الله في نبوة إشعياء ٤٤: ٦ «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرِي».

لقد رأينا أن يسوع دُعي «رباً» مرات كثيرة في العهد الجديد، الأمر الذي يورده العهد القديم كثيراً في النبوات عن المسيح، فيقول في مزمور ١١٠: ١ «قَالَ الرَّبُّ لِزَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ». وقد نسب المسيح كلمات هذا المزمور لنفسه وهو يسأل اليهود عن معناه (راجع متى ٢٢: ٤٤).. كما نقرأ في نبوة ملاخي ٣: ١ «وَيَأْتِي بَعْتَهُ إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ».

وقد نسب العهد الجديد ليسوع اسم «الله» أكثر من عشر مرات (راجع يوحنا ١: ١٨، ١ و ٢٠: ٢٨ و ١ يوحنا ٥: ٢٠ و رسالة العبرانيين ١: ٨ و ٢ بطرس ١: ١ وأعمال ١٨: ٢٦ و ٢٠: ٢٨ و رومية ٩: ٥ و ٢ تسالونيكي ١: ١٢ و تيطس ٢: ١٣ و ١ تيموثاوس ٣: ١٦).

وقد اتفق علماء تفسير الكتاب من شتى المذاهب على أن يسوع، كما أعلنه عنه العهد الجديد، هو نفسه رب العهد القديم. فكتبة العهد الجديد ينسبون للمسيح أقوالاً من العهد القديم كانت في أصلها تشير إلى «أدوناي» أو «يهوه» اسمي الإلهية في العهد القديم. (قارن إشعياء ٤٠: ٣ مع مرقس ١: ٣)؛ ونبوة يونس ٢: ٢٢ مع أعمال ٢: ٢١؛

ورسالة رومية ١٠: ١٣ ونبوة إشعياء ٤٥: ٢٣ مع فيلبي ٢: ١٠.. وقارن نبوة إرميا ٩: ٢٤ مع ١كورنثوس ١: ٣١ و١٠: ١٧؛ ومزمور ٦٨: ١٨ مع أفسس ٤: ٨؛ ونبوة إشعياء ٢: ١٩ مع ٢تيموثاوس ٤: ١٤ ورؤيا ٢٢: ١٣).

إذا دُعي المسيح في العهد الجديد بالألقاب الآتية:

في إنجيل متى:

«يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (١: ٢١)

«عمانوئيل، أي الله معنا» (١: ٢٣)

«المسيح ابن الله الحي» (١٦: ١٦)

«يسوع المسيح» (١٦: ٢٠)

«ابن الإنسان» (١٧: ٩)

«معلم» (٢٣: ١٠)

في إنجيل لوقا:

«يسوع الناصري، قدوس الله» (٤: ٣٤)

في إنجيل يوحنا:

«الكلمة» (١: ١)

«كل شيء به كان» (١: ٣)

(١٠ : ١)	«كُون العالم به»
(١٦ : ٣ ، ١٨ : ١)	«الابن الوحيد»
(٣١ : ٢٠ و ٤٩ ، ٣٤ : ١)	«ابن الله»
(٤٩ : ١)	«ملك إسرائيل»
(٤٢ : ٤)	«المسيح مخلص العالم»
(٥١ : ٦)	«الخبز الحي»
(٧ : ١٠)	«الباب»
(١١ : ١٠)	«الراعي الصالح»
(٢٥ : ١١)	«القيامة والحياة»
(٢٧ : ١١)	«المسيح ابن الله الآتي إلى العالم»
(٦ : ١٤)	«الطريق والحق والحياة»
(١ : ١٥)	«الكرمة الحقيقية»
	في سفر أعمال الرسل:
(١٤ : ٣)	«القدوس البار»
(١٥ : ٣)	رئيس الحياة»

(١٣ : ٥)

«مخلص»

في الرسالة إلى رومية:

(٥ : ٩)

«إلهاً مباركاً»

في الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

(٢٤ : ١)

«قوة الله وحكمته»

(٨ : ٢)

«رب المجد»

(٣ : ١١)

«رأس كل رجل»

في الرسالة الثانية إلى كورنثوس:

(٤ : ٤)

«صورة الله»

في الرسالة إلى غلاطية:

(١٣ : ٣)

«فادي»

في الرسالة إلى فيلبي:

(١١ : ٢)

«رب»

في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

(١٥ : ٦)

«رب الأرباب»

في الرسالة إلى العبرانيين:

- «وارث لكل شيء» (٢ : ١)
«بهاء مجد الله ورسم جوهره» (٣ : ١)
«رئيس الخلاص» (١٠ : ٢)
«رئيس كهنة عظيم» (١٤ : ٤)
«رئيس الإيمان ومكمله» (٢ : ١٢)
«وسيط» (٢٤ : ١٢)

في رسالة بطرس الثانية:

- «المخلص» (١ : ١)

في سفر الرؤيا:

- «الرب الكائن» (٨ : ١)
«الكائن والذي كان والذي يأتي» (٨ : ١)
«القادر على كل شيء» (٨ : ١)
«الأول والآخر» (١٧ : ١)
«الحي» (١٨ : ١)

«الألف والياء، البداية والنهاية»

(٢١: ٦)

الفصل الخامس:

صفات المسيح إلهية

ينسب العهد الجديد للمسيح صفات إلهية، لا على سبيل المجاملة كما يحدث بين البشر، بل صفات من النوع الذي لا يمكن أن ينسب إلا لله وحده. فيما يلي نعرض قائمة بتلك الصفات:

١- كامل وبلا خطية:

جاء في يوحنا ٦: ٦٩ إعلان عظيم من بطرس عن المسيح الذي آمن به، فقال له: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». وفي ١ بطرس ٢: ٢٢ كتب أنه: «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وَجَدَ فِيهِ قِيمَةٌ مَكْرٌ». وقال بولس عن المسيح: «لَمْ يَغْرِفْ خَطِيئَةً» (٢ كورنثوس ٥: ٢١). وجاء في العبرانيين أن المسيح: «قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ ائْتَفَصَلَ عَنِ الْخَطَايَا...» (٧: ٢٦). وتحدث المسيح عن قداسه وكماله، ففي يوحنا ٨: ٢٩ أوضح كمال أخلاقه وعصمته، قال: «لَأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ». وفي يوحنا ٨: ٤٦ تحدّى معارضيه وقال: «مَنْ مِنْكُمْ يُكَيِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟». وقد اعترفت الشياطين،

وَهُمْ أَلَدُ أَعْدَائِهِ أَنَّهُ: «قَدَّوسُ اللَّهِ» (مرقس ١: ٢٤). ولم يطلق الوحي مثل هذه الصفات من الكمال على أي من خلائق الله، فُعْزِي للمسيح وحده كمال هذه الصفات. أما البشر فيقولون «كُلُّنَا كَفَنَمِ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء ٥٣: ٦).

٢- الأزلي:

بدأ يوحنا بشارته بالكشف عن أزلية المسيح، فقَدَّم في أول عدد منها تعريفاً مهماً للمسيح كلمة الله المتجسد، قال: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ». واقتبس إعلانات واضحة من فم المسيح نفسه عن أزليته، منها قوله: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨)؛ وقوله في صلاته الشفعية: «مَجِّدْنِي بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ٥)، «لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (العدد ٢٤). بالإضافة إلى هذا نجد مضمون النبوات التي تحدثت عن المسيح في أسفار أنبياء العهد القديم قبل مجيئه بمئات السنين. فالنبي إشعياء دعاه في سفره «أَبَا أَبَدِيًّا» (٩: ٦) وقال النبي ميخا عنه «مَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ مِنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ» (٥: ٢). ولا عجب، فالمسيح ملك كل الدهور.

٣- مصدر الحياة:

وصفت بشارة يوحنا المسيح بأنه الخالق المبدع:

* «فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ» (١: ٤)

* «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِإِيَّايَ» (١٤: ٦)

* «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (١١: ٢٥)

* «لأنَّهُ كَمَا أَنَّ الْآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذَلِكَ أُعْطِيَ الْإِبْنُ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (٥: ٢٦)

٤- الثابت عديم التغير:

جاء في رسالة العبرانيين عن الابن: «وَأَنْتَ (إشارة إلى المسيح) يَا رَبِّ فِي الْبَدْءِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتِ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلَى، وَكَرْدَاءٌ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلَكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسَبُوكَ لَنْ تَفْنَى» (عبرانيين ١: ١٠-١٢) وتحسم الأمر بالقول: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨)

٥- القدرة على كل شيء:

قال المسيح: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي» (متى ١١: ٢٧) وقال: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى ١٨: ٢٨).

وكتب الرسول بولس إلى المؤمنين في أفسس أن الله الآب: «أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ» (أفسس ١: ٢٢). وعرف كاتب العبرانيين المسيح بأنه: «حَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (١: ٣). ويقول سفر الرؤيا إن المسيح هو «الرَّبُّ الْكَائِنُ.. وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (١: ٨). وتنبأ إشعياء بميلاد المسيح وقال: «يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيرًا، إِلَهاً قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَبِّيسَ السَّلَامِ» فهو الإله القدير (إشعياء ٩: ٦).

ولم تكن قدرته قاصرة على الكلام، لكنها كانت دائماً مدعّمة بالمعجزات التي

أجراها علناً وشهد لها الجميع من أصدقاء وأعداء، فقد أقام الموتى (يوحنا ١١: ٤٣، ٤٤ ولوقا ٧: ١٤ و ١٥). وقال: «إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيُّونَةِ» (يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩).

٦- العالم بكل شيء:

قال له تلاميذه: «الآن نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ» (يوحنا ١٦: ٣٠) وقبل منهم هذا الوصف. وقال لمشلول شفاه: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». فانتقده رجال الدين اليهود وقالوا في أنفسهم: «هَذَا يُجَدِّفُ!». فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تَفَكَّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟» (متى ٩: ٣، ٤).

وقال عن نفسه: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْآبْنُ» (متى ١١: ٢٧).

وقال البشير يوحنا: «لَكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَأْتِمْنَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الْإِنْسَانِ» (٢: ٢٤، ٢٥). وقال أيضاً: «لَأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ» (٦: ٦٤). وقال: «فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ» (١٨: ٤).

وكتب الرسول بولس أن المسيح هو «الْمُدْخَرُ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ» (كولوسي ٢: ٣).

قال أحد اللاهوتيين: «إن أعظم الدلائل على قدرة المسيح الخارقة في فحص

وتحليل وقراءة ما في قلب الإنسان من أسرار كما حدث مع نثنائيل، والمرأة السامرية، وتلميذه الخائن يهوذا، وتلميذه المغرور بنفسه بطرس. وأخبر المسيح بما سيحدث في المستقبل، فتحدث عن موته وقيامته وعودته إلى الأرض دياناً للأحياء والأموات.

كانت مسيرة التاريخ مفتوحة أمام عيني المسيح، فيرى ما سبق وصار، كما يرى مسبقاً ما سينجزه تلاميذه من أعمال معجزية، وأخبر عن هزيمة إبليس العتيدة وانتصار ملكوت الله الذي يلازم ذلك. فكل شيء مكشوف أمام عينيه: الأرض والسماء؛ والأزل والأبد؛ والله والإنسان.

٧- موجود في كل مكان وزمان:

المسيح هو «الابنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَرٌ» (يوحنا ١: ١٨). فير ذو علاقة لاهوتية مباشرة بالله، وبالرغم من تجسده ووجوده على الأرض بين البشر فإن صلته الوثيقة بالآب بقيت دون تغيير، فإنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ». فالمسيح إذن كان مع الله وبقي عند تجسده في صورة بشرية «كائنًا» مع الله «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يوحنا ٣: ١٣).

وعَلَّقَ يوحنا كالفن على هذا بقوله: «تجسّد المسيح، ولكنه لم يُحَصَر ولم تَقَلَّ قيمته، فابن الله نزل من السماء بطريقة معجزية في نفس الوقت الذي بقي فيه موجوداً في السماء. لقد اختار أن يولد من عذراء بطريقة عجيبة ليعيش على الأرض ويُعَلِّقَ على الصليب. لكنه في الوقت ذاته لم يَكْفَ عن أن يملأ الكون بوجوده، كما كان الكون معمرًا

بوجوده منذ البداية».

وقد أعلن المسيح حقيقة وجوده الكلي وغير المحدود بقوله: «حَيْثُمَا أَجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (متى ١٨: ٢٠). وقال عندما كان مجتمعاً برسله على جبل الزيتون بعد قيامته من الأموات: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى أَنْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ٢٠). قال هذا ليطمئنهم ويؤكد لهم استمرار وجوده وقوته معهم، وأن تأثيره عليهم ومعهم لن يكون تأثير معلّم أو نبي ميت ومقبور، بل هو تأثير من هو حاضر وحيّ دائماً.

ولما كان موجوداً في كل مكان فهذا يعني أنه يبقى دائماً قريباً، قادراً على حماية وتعزية شعبه حتى لا يصيبهم أذى غير ما يراه هو ويسمح به لأجل صالحهم ومنفعتهم. لقد كان حضور المسيح مع تلاميذه بعد قيامته من الموت أكثر وضوحاً من وجوده الجسدي قبل موته. فبعد قيامته أصبح إيمانهم وعلاقتهم به قوة انتصارية دافعة، بينما كان اعتبارهم له قبل موته دائم التراجع والتشكك، فالمسيح هو «مِلءُ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أفسس ١: ٢٣).

٨- الخالق:

قال الرسول يوحنا عن المسيح: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ».. و«كُونُ الْعَالَمِ بِهِ» (يوحنا ١: ٣، ١٠).

وقال الرسول بولس: «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الْآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (١ كورنثوس ٨: ٦). وقال

أيضاً: «فَإِنَّهُ فِيهِ (في المسيح) خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سِوَاَهُ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي ١: ١٦، ١٧).

وقال كاتب رسالة العبرانيين عن المسيح: «حَامِلٌ كُلَّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ...» «وَأَمَّا عَنْ الْأَيِّنِ (فقال الله على لسان داود): كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى ذَهَرِ الدُّهُورِ...» «وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى» (عبرانيين ١: ٣، ٨، ١٠).

كتب أحد كبار اللاهوتيين: «يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح هو خالق الكون بأسره، ما هو منظور وما هو غير منظور. هذا لا يتضمن فقط ما في الكون الطبيعي والمادي من شمس ونجوم لا تُحصى، بل أيضاً جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر. الجميع مدينون له بوجودهم، وهو يشرف على الكون كله، حامياً له من التفكك والانحلال والخراب. وتقول كلمة الله إن المسيح هو مصدر كل الأشياء ما يُرى وما لا يُرى، وهو الغاية النهائية لكل الخليقة. إذن ليس المسيح هو خالق كل الأشياء فقط، بل إنها جميعاً خُلِقَتْ لأجله هو، فهو الآخر كما هو الأول، وهو النهاية كما هو البداية».

٩- غافر الخطايا:

عندما شفى يسوع المفلوج وغفر له خطاياه تَذَمَّرَ الكتبة في سرٍّ هم متسانلين: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفٍ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟» (مرقس ٢: ٧). لكن

يسوع عرف ما يدور في قلوبهم وقال لهم: «لَكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» (مرقس ٢: ١٠). وأمر المفلوج، بعد أن غفر له خطاياه، أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته. وهكذا ربط المسيح بين قدرته أن يغفر خطايا البشر وأن يشفي أمراضهم. وهو لم يتكلم عن مجرد السلطة على مغفرة خطية الآخرين، بل أكد أنه هو نفسه البديل الذي يحمل عقاب الخطية عنهم. وأعلن لتلاميذه بعد قيامته من الموت «يُكْرَزُ بِاسْمِهِ بِالْتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ» (لوقا ٢٤: ٤٧).

وشهد يوحنا المعمدان عنه قائلاً: «هُوَذَا حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» (يوحنا ١: ٢٩)، وبشر الرسول بطرس الأمم قائلاً: «لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (أعمال ١٠: ٤٣). وكتب بولس الرسول: «لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (كولوسي ١: ١٤). وكتب الرسول يوحنا: «وَدُمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْتِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (١ يوحنا ١: ٧).

١٠- مؤسس الخلاص:

المسيح هو مؤسس الخلاص. «لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ».. «الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ».. «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْآبِنِ لَهُ حَيَاةُ أَبَدِيَّةٍ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْآبِنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يوحنا ٣: ١٦، ١٨، ٣٦).

وقال المسيح لليهود: «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». ثم مضى

يقول: «أنا هو خُبْرُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا»..
لأن هذه هي مَثْبُتَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَنْ يَرَى الْآبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ،
وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ» (يوحنا ٦: ٢٩، ٣٥، ٤٠). وقال المسيح أيضاً: «أَنَا
هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى».. «خِرَافِي تَسْمَعُ
صَوْتِي، وَأَنَا أَغْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي؛ وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطِفُهَا
أَحَدٌ مِنْ يَدَيَّ» (يوحنا ١٠: ٩، ٢٧، ٢٨).

وقال: «أَنَا هُوَ الْقَيَّامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ» (يوحنا ١١: ٢٥،
٢٦).

وقال: «أَنَا الْكَرْمَةُ (الحقيقية) وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَنْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ
كَثِيرٍ، لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَنْبُتُ فِيَّ يَطْرَحُ خَارِجًا
كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ» (يوحنا ١٥: ٥، ٦). وفي
مطلع صلاته الشفعية قال للآبِ: «أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ
مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَخَدَّكَ، وَيَسُوعَ
الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٢، ٣).

وفي كلمة الله يرتبط الإيمان بالمسيح بالإيمان بالله، وقد قال المسيح: «الَّذِي يُؤْمِنُ
بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ١٢: ٤٤). وقال: «فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي
قَدَامَ النَّاسِ أَعْتَرَفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قَدَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٣٢) وقال:
«لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْآبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْآبْنَ أَنْ يَعْلَمَ

لَهُ. تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالنَّاقِلِينَ الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٧، ٢٨). ولهذا قال الرسول بطرس عن المسيح: «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال ٤: ١٢). وكما سأل سجان فيلبي بولس وسيلا: «يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟». فأجاباه: «أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ». فَأَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَخُلِّصَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ» (أعمال ١٦: ٣١) هكذا يجد القارئ خلاص نفسه في المسيح.

١١- موضوع الصلاة والعبادة:

في مناسبات عديدة سجد البشر للمسيح وعبدوه، وقَبِلَ المسيح ذلك منهم مع أنه «مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (متى ٤: ١٠). فعندما وصل المجوس إلى بيت لحم «خَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ» (متى ٢: ١١). وعندما مشى المسيح على الماء سجد له تلاميذه قائلين: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ» (متى ١٤: ٣٣). وسجدت له المرأة الكنعانية قائلة: «يَا سَيِّدُ أَعْنِي» (متى ١٥: ٢٥)، وتلاميذه بعد قيامته «لَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ» (متى ٢٨: ١٧). وعند صعوده إلى السماء «انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَسَجَدُوا لَهُ» (لوقا ٢٤: ٥١، ٥٢).

وعندما فتح المسيح عيني الأعمى «سَجَدَ لَهُ» (يوحنا ٩: ٣٨). وعندما رآه تلميذه توما بعد قيامته من الموت سجد له قائلاً: «رَبِّي وَإِلَهِي» (يوحنا ٢٠: ٢٨). ولم يوبخ المسيح أحداً من هؤلاء على ما تكلم به أو فعله. وطلب من المؤمنين به أن يضعوا ثقتهم فيه ويتكلموا عليه اتكالاً كاملاً في كل أمور حياتهم جاءهم بهذا التأكيد قائلاً: «حَيْثُمَا

أَجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهَنَّاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (متى ١٨ : ٢٠)، وكذلك قبل صعوده إلى السماء قال لهم: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨ : ٢٠).

وكتب الرسول بولس: «إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفِيكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، خَلَصْتَ».. «لأنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (رومية ١٠ : ٩، ١٣).. فهو «رَبَّنَا وَمُخَلِّصُنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ» (٢بطرس ٣ : ١٨)، وهو وحده يستحق «أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ.. لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالسُّلْطَانَ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ» (الرويا ٥ : ١٢، ١٣).

هذا هو الإله الوحيد الذي قدّم بركته للمؤمنين بواسطة ما يُعرَف بالبركة الرسولية التي تقول: «نِعْمَةُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (٢كورنثوس ١٣ : ١٤). وهي صلاة موجهة إلى المسيح لأجل نعمته، وإلى الآب لأجل محبته، وإلى الروح القدس لأجل شركته المقدسة.

هذه الحقائق التي أعلنها لنا الوحي الإلهي ليس لها إلا تفسير واحد صحيح، هو أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، هم جميعاً واحد في الجوهر، ومتساوون في القدرة والمجد. فكلما الله تقول: «الْتَفَتُوا إِلَيَّ وَأَخْلَصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الْأَرْضِ لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ» (إشعياء ٤٥ : ٢٢) و«مَلْعُونُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ» (إرميا ١٧ : ٥) فإنه «لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِدًا» (١كورنثوس ٨ : ٤-٦).

وهكذا تضع كلمة الله اعتراف الإنسان بالوهية المسيح والاتكال عليه اتكالاً مطلقاً

شرطاً لنوال الخلاص لأنه المخلص الوحيد، وهو الطريق الوحيد لنوال الخلاص.

١٢- ديان كل البشر:

يعلن لنا الوحي أن دينونة البشر حقيقة واقعة، وأكد على أن المسيح هو الديان العادل الذي سيقدر المصير الأبدي لكل البشر، فقد قال: «لأنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدُّيُونَةِ لِلْإِنِّ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الْإِنِّ كَمَا يُكْرِمُونَ الْآبَ.. تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ.. فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدُّيُونَةِ» (يوحنا ٥: ٢٢-٢٩).

وربما يكون متى ٢٥ أهم نص في الوحي الإلهي يعلم عن نهاية العالم، وأن المسيح هو الملك الديان، فيقول:

«وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقُدِّيسِينَ مَعَهُ، فَجِينَذِ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيَمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يَمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِذَاءِ، فَيُفْقِمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِذَاءَ عَنْ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمُلُكُوتَ الْمَعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.. ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنْ الْيَسَارِ: أَذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمَعَدَّةِ لِلْبَلِيسِ وَمَلَائِكَتِهِ.. فَيَمْضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْآخَرُونَ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٣١-٤٦).

وأكد المسيح لسامعي موعظته على الجبل أنه الرب الديان، فقال: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي

السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنبَأْنَا،
وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينئذٍ أُصْرَحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ
أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! أَذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ» (متى ٧: ٢١-٢٣).

وأفادنا رسل المسيح بالحقيقة ذاتها، فقال الرسول بطرس إن يسوع: «هُوَ الْمَعِينُ
مِنْ اللَّهِ دَيَانًا لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ» (أعمال ١٠: ٤٢) وقال الرسول بولس: «لَأَنَّهُ لَا بُدَّ
أَنَّا جَمِيعًا نَظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِنَبَالَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ،
خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا» (٢ كورنثوس ٥: ١٠).

الفصل السادس:

معجزات المسيح

معجزات السيد المسيح برهان قاطع على ألوهيته. والمعجزة عمل أو حدث علني تفعله قوة الله المباشرة، بقصد إثبات صحة رسالة الرسول. لكن المعجزات التي قام بها السيد المسيح تختلف من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل، فإن المسيح حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو، لا بواسطة قوة خارجية عنه. عندما تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء أصرّوا دائماً على أن ما عملوه لا يرجع إلى قوتهم الشخصية، فعندما انشطرت مياه البحر الأحمر وعبر بنو إسرائيل على اليابسة، لم يتردد موسى في أن ينسب المعجزة لله (خروج ١٤: ١٣). وعندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الرجل الأعرج الواقف عند بوابة الهيكل كان ردهما على تعجب الجموع التي شاهدت المعجزة: «مَا بِالْكُم تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا، وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا كَأَنَّا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هَذَا يَمْشِي؟»

(أعمال ٣: ١٢). وعندما شفى بولس مريضاً في مقاطعة لسترة، وشرع الناس بتقديم ذبائحهم له ولزميله برنابا رفض ذلك، وأعطى المجد لله وقال: «نَحْنُ أَيْضاً بَشَرٌ تَحْتَ الْإِامِ مِثْلَكُمْ» (أعمال ١٤: ١٥).

لكن عندما شفى المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو هدأ الرياح والأمواج، قام بكل هذا بقوته غير المحدودة. وقد كشف عن تلك الحقيقة بدون تردد قائلاً: «الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي» (يوحنا ١٠: ٢٥)، وقال: «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالِ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يوحنا ١٠: ٣٧، ٣٨). وعندما جاء تلميذا يوحنا المعمدان ليسالاً المسيح إن كان هو المسيح المنتظر، أجابهما: «أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا سَمِعْتُمَا وَتَنْظُرَانِ: الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْأَبْرَصُ يُطَهَّرُونَ، وَالْأَصُمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ» (متى ١١: ٤، ٥).

الله هو الذي أقرّ ونظّم قوانين الطبيعة، وهو وحده يقدر أن يغيّرهما أو يعدلها كما يشاء. لقد أبرز المسيح قوته وعظمته وجلاله في كل مرة أجرى فيها معجزة، مقدّماً بذلك برهاناً ساطعاً على ألوهيته.

كان عدد المعجزات التي قام بها المسيح كبيراً جداً، وقد سجّل العهد الجديد حوالي أربعين منها كانت بمثابة أمثلة لإبراز قوة المسيح الشفائية، وقدرته على إقامة الموتى، وسلطانه على قوى الطبيعة. وهناك إشارات في الإنجيل إلى أن الكثير من معجزات

المسيح لم تُسَجَل (راجع متى ٤: ٢٣، ٢٤ ويوحنا ٢٠: ٣٠).

الفصل السابع:

مجد المسيح

جواباً على السؤال: «على أي أساس يقوم مجد السيد المسيح؟» يقول كتاب أصول الإيمان: «يقوم مجد السيد المسيح على أساس قيامته من الأموات في اليوم الثالث، وصعوده إلى السماء، وجلسه عن يمين الله الأب، وعودته ليدين العالم في اليوم الأخير».

لا يتوقف مجد المسيح وارتفاعه على طبيعته الإلهية، التي هي الآن، والتي كانت دائماً

مجدة، بل إن التمجيد يتعلّق بطبيعته البشرية، لأن طبيعته الإلهية لا تتغير فهي غير قابلة للزيادة أو النقصان. أما تواضعه فكان مؤقتاً، بدأ بولادته وتمّ بدفنه. ولا يمكن تكرار هذا على الإطلاق. أما ارتفاع السيد المسيح ومجده فإنه مستمر، بدأ بقيامته وصعوده، وما زال قائماً حتى الآن، وهو جالس عن يمين الله الأب، ويدير أمور ملكوته بصورة مستمرة. وسيظهر هذا بصورة كاملة عند نهاية العالم حين يأتي بمجد أبيه، مع الملائكة القديسين

ليدين الأمم ويعين لكل فرد مصيره الأبدي.

لم تكن قيامة السيد المسيح مجرد خطوة أولية لتمجيده، بل كانت أيضاً واحدة من أعظم حقائق الإنجيل. بهذا العمل انتصر المسيح على الموت، وخرج حياً من القبر. هذا هو البرهان على أن عمله الفدائي كان ناجحاً تماماً، وكان انتصاره انتصاراً تاماً على الموت. وأظهرت أيضاً أن عمله هذا قد قام بجميع مطالب الشريعة الإلهية التي سنّها الله عند بدء الخليقة: بأن النفس التي تخطئ يجب أن تموت. فلم يغد للموت أي حكم عليه، ولا على أي من الذين مات عنهم وافتداهم.

لقد برهنت القيامة أيضاً على أنه ابن الله، كما قال، مساوٍ لله الآب، فهو الله الذي ظهر في الجسد. وبما أنه تألم ومات ليس بسبب خطية ارتكبتها، بل كالفائد الذي ينوب عن شعبه، فإن قيامته هي الضمان على أنه في الوقت المعين سيقم شعبه المنتسب إليه انتساباً حياً في قيامة مجيدة. ذلك يعني أن الإنجيل هو حق، وأن الشيطان قد دُحر نهائياً، فقد انتصرت الحياة على الموت والحق على الباطل والخير على الشر والسعادة على البؤس. كل تلك الانتصارات أبدية ودائمة كما قال الرسول بولس: «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم.. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بغد في خطاياكم! إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا! إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الرافدين. فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيقم الجميع. ولكن كل واحد في رتبته» (المسيح هو الأول، ثم يتبعه الذين له، والذين سيقمهم عند مجيئه الثاني) (١ كورنثوس

١٥: ١٤-٢٣).

١- النتيجة الأولى والأكثر تأثيراً للقيامة ظهرت في التغيير التام الذي حدث في عقول التلاميذ وقلوبهم. فمع أنهم بعد الصلب كانوا مثبطي العزم تماماً، ومع أنهم أوشكوا على فقدان الإيمان بالمسيح كالمسيّا الحقيقي المنتظر، فإنهم على ضوء القيامة اقتنعوا اقتناعاً كاملاً أن مسيحهم الذي قام من الأموات هو ابن الله، والمسيّا الموعود به، ومخلص العالم. ولم يرحزهم شيء عن هذا الاعتقاد، فخرجوا يبشرون به في كل مكان، وهم مستعدون أن يتألّموا وأن يموتوا لأجل الإنجيل. وقد استشهد بعضهم في سبيل خدمتهم له، وانتهت حياة أكثر تلاميذ السيد المسيح الإثني عشر بالاستشهاد لأجل مسيحهم.

٢- والنتيجة الثانية لارتفاع السيد المسيح كانت صعوده. يذكر البشير مرقس أنه بعد أن تكلم المسيح مع التلاميذ «أُرْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ» (مرقس ١٦: ١٩)، ويمين الله هو مركز الإكرام والتأثير والقوة والجلال. فقد أخرج المسيح التلاميذ «إِلَى بَيْتٍ عَنِيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ» (لوقا ٢٤: ٥٠، ٥١). وبعد أن باركهم «أُرْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلَانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ وَقَالَا: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي أُرْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي لِهَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال ١: ٩-١١).

قال أحد مشاهير اللاهوتيين: «صعد المسيح: (١) كالإله المتجسد، وابن الله المتسربل بطبيعتنا ذات الجسد الحقيقي والنفس الناطقة. (٢) وكان صعوده منظوراً رآه التلاميذ يرتفع تدريجياً عن الأرض و«يصعد» حتى حجبته سحابة عن عيونهم. (٣) وكان الصعود انتقالاً من مكان إلى آخر، من الأرض إلى السماء، فالسماء هي إذن «مكان». أما مكان وجود السماء بالنسبة للأرض فلم يكشف عنه الوحي الإلهي، ولكن حسب عقيدة الكتاب المقدس، السماء هي مكان محدد أو معين من الوجود، حيث يظهر حضور الله بطريقة خاصة، وهو محاط بملائكته.. وبأرواح قديسيه الأبرار الذين ماتوا على رجاء قيامته».

السماء هي موطن السيد المسيح، وهي عرشه وهيكله. فالصعود أو الارتفاع شكلاً الوجه المقابل لنزوله إلى الأرض. في الفصل الثالث (من القسم الأول) بحثنا في موضوع وجوده السابق ورأينا أنه قد «أتى» أو «أُرسل» في مهمة خاصة للفداء. وإذ أكمل هذا العمل بنجاح تام، عاد إلى موطنه السماوي ليسترد مكانته الأصلية العليا، لأن عالمنا مليء بالشر، فهو ليس المكان الملائم لوجود الفادي في حالة مجده الكامل، ولا يمكن أن يصلح عالمنا لإقامة المسيح الدائمة إلا بعد تطهير وإعادة خلق، فيصير سماءً جديدة وأرضاً جديدة. وبما أن السيد المسيح قد جهّز كفارة فعلية، وأوفى كل المتطلبات القانونية المترتبة على شعبه، فكان من الضروري أن يضع حياته في من خصّتهم تلك الكفارة، وذلك بواسطة عمل الروح القدس. فالروح القدس هو الذي يجدد نفوس البشر، ويعدّهم إعداداً كاملاً للوطن السماوي. ولكي ينجز هذا فإنه ينيّر عقولهم، ويرشدهم ويوجههم إلى الإيمان والتوبة، ثم يدفع بهم في مسيرة تتزايد نحو التقديس.

وبدون قوة الروح القدس المجدّدة والخالقة يبقى البشر تحت عبء خطاياهم دون انتفاع بعمل المسيح الخلاصي.

ولكن مباشرة الروح القدس لعمله الجليل هذا تفترض أن تسبقها عودة المسيح المخلّص لمجده الأصلي مع الآب. لقد قال المسيح لتلاميذه: «خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقَ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ» (يوحنا ١٦: ٧). فالبركة العظيمة الخاصة التي تنبأ عنها الأنبياء وقالوا إنها من ميزات عصر المسيّا، هي بركة الروح القدس. أما منح الكنيسة تلك البركة فكان مرتبطاً بصعود الفادي. لقد تمجّد لكي يمنح التوبة ومغفرة الخطايا، ولكي يجمع شعبه من كل الأمم وفي كل العصور ليصبح عمله الخلاصي فخرًا في حياة المؤمنين. وكان عرشه السماوي أنسب مكان للكشف عن كمال عمله الكفاري.

ومعاملات الله مع البشر في هذا العالم تشتمل على ثلاثة أشكال متميزة، لكل أقنوم من أقانيم الثالوث الأقدس صلة خاصة بأحدها. في تدبير الله الأبدي كان يوجد ما يمكننا أن ندعوه تقسيم العمل بين أقانيم اللاهوت، وأتباع ترتيب معيّن لما يحدث.

* كان عمل الآب في الخلق والعناية الضابطة لكل شيء. وقد امتدّ عبر حقبة العهد القديم وحتى ولادة يسوع المسيح في بيت لحم؛

* أما عمل الابن فقد اختصّ بعملية الفداء، وبدأ بولادته في بيت لحم، واستمر حتى يوم الخمسين. ففي ذلك الوقت جهّز الكفارة، وأنجز كل المطالب الشرعية عن شعبه، فيمكنهم أن ينتقلوا من حالتهم في الخطية والشقاء إلى حالة الخلاص. إنّ عمل الروح

القدس يختص بتطبيق عملية الخلاص الكفارية التي حَضَرها الابن، ويتم ترسيخها في حياة المؤمنين؛

* وبدأ عمل الروح القدس بشكله الكامل والواضح في يوم الخمسين عندما تأسست كنيسة العهد الجديد. ويمتد هذا العمل الخاص للروح القدس حتى النهاية وحتى اكتمال عملية الخلاص وتجميع الكنيسة.

٣- النتيجة الثالثة لارتفاع المسيح هي جلوسه عن يمين الله. من هناك يوجّه أمور ملكوته ويحافظ على نظامه الكامل. ولكي يكون حُكْم وساطته ناجحاً تماماً أُعطي حكماً مطلقاً قال عنه عندما كَلَّف تلاميذه بتبشير العالم: «دَفْعَ إِلَيَّ كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى ٢٨: ١٨)، وقال عنه الرسول بولس: «لَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». وقال: «أَخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ» (١كورنثوس ١٥: ٢٥، ٢٦). وقد أمر المسيح تلاميذه أن يذهبوا «وَيَتَلَمَّذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ» (متى ٢٨: ١٩). وتؤكد المعمودية انتماء تلك الشعوب للإله الحقيقي، فيقول: «وَعَمَدُوهُمْ بِأَسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (متى ٢٨: ٢٠). وسنبحث هذا عندما ندرس موضوع «المسيح كملك» (في الفصل الثاني من القسم الثالث).

والنتيجة الرابعة والأخيرة لارتفاع المسيح ستكون مجيئه الثاني بقوة ومجد عظيم، ليدين كل العالم. سيظهر في الجسد الممجّد الذي قام به محاطاً بالملائكة، وسيجلس على عرش مجده (متى ٢٥: ٣١) و«سَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ» (الرويا ١: ٧) فيعلن

للناس جميعاً خبر ثوابهم أو عقابهم النهائي، ثم يسلم الملكوت للآب، ويستعيد علاقته الأصلية بأفنومي الثالث الآخرين، ويشترك في المجد الذي كان له مع الآب قبل إنشاء العالم. وسيملك مع الآب والروح القدس إلى الأبد على المفديين، «وَمَتَّى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَجِينَذِ الْآبُنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، كَيْ يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ» (١كورنثوس ١٥: ٢٨).

ويجب أن نتذكر أن طبيعة يسوع البشرية هي التي ارتفعت، أي أن الإنسان يسوع المسيح هو الذي أخذ جسد القيامة وصعد إلى السماء، وسترأه كل الشعوب حينما يأتي ثانية إلى العالم في اليوم الأخير.

الفصل الثامن:

عصمة المسيح

عصمة المسيح هي العمود الفقري لإثبات مؤهلاته ليكون وسيطاً بين الله والناس، فلو أنه أخفق ولو في زلة واحدة خلال حياته على الأرض لتهدم كل البناء الذي جاء ليقيمه. فعصمته هي الدليل على أنه ذو طبيعة إلهية، وعلى أنه الإنسان الصالح الوحيد الذي بمقدرته، المبنية على الطهارة والكمال تمكنه من عمل الفداء وحمل عقاب الآخرين. إضافة إلى ذلك فإن قيامة المسيح من الموت ما كانت لتحدث إطلاقاً لو لم يتمتع المسيح بتلك العصمة المطلقة. وهذه الحقائق من أكثر إعلانات الإنجيل نصاعة ووضوحاً.

وتفترض نبؤات العهد القديم أن يكون المسيح تقيّ الله الذي لم ير فسداً (مزمور ١٦ : ١٠)، وأن يكون عمانوئيل وليد العذراء «عبد الله الذي يرفض الشر ويختار الخير» (إشعيا ٧ : ١٥، ١٦)، و«عبد الله الذي يعقل، يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً.. يحبره شفيئنا.. والرّب وضع عليه إثم جميعنا.. على أنه لم يعمل ظلماً، ولم

يَكُنْ فِي قَمِيهِ عِشٌّ.. أَلْبَارُّ» (إشعياء ٥٣). وقد بَشَّرَ الملاك العذراء مريم أن المولود منها هو «أَلْقُدُّوسُ.. أَبْنُ اللهِ» (لوقا ١: ٣٥).

ولم تكن الشهادة لعصمة المسيح في الوحي الإلهي مجرد تصريحات، بل كانت مدعمة بحقائق ملموسة وظاهرة للعيان، وموضوعية بدرجة أذهلت معاصري المسيح. وقد اندهش كثيرون من معجزات المسيح فاعتقدوا أن ذلك هو السبب الوحيد الذي جعل الجموع تتبعه وتؤمن به. صحيح أن الأغلبية الساحقة بين الذين تبعوا المسيح في مطلع خدمته اجتذبتهم القوة الخارقة التي سيطر فيها على العوامل الطبيعية. لكن الواقع أن ذلك لم يكن العامل الوحيد لاجتذاب أتباعه ورسله الذين التصقوا به وكرسوا حياتهم لخدمته. لقد كان لأخلاقه لمعان وطهارة، وكان لأسلوب ودوافع حياته أعظم الأثر على هؤلاء، بل لعل ذلك هو العامل وراء حياة الطهارة والقداسة التي عاشها ملايين المسيحيين عبر الأجيال.

ولم تأتِ الشهادة لعصمة المسيح من ملائكة الله والمؤمنين فحسب، بل أيضاً من بعض أعدائه، فيهوذا الخائن ندم على خيانتته، وألقى بنقود شيوخ اليهود على الأرض وقال: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِينًا» (متى ٢٧: ٤)؛ وزوجة بيلاطس التي أزعجها حُلمها عن القبض على يسوع وتسليمه لسلطان زوجها، قالت لزوجها: «إِيَّاكَ وَذَلِكَ أَلْبَارُّ» (متى ٢٧: ١٩)؛ وبيلاطس نفسه، إذ أدرك سمو المسيح وطهارته، فقال لليهود: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا أَلْبَارِّ» (متى ٢٧: ٢٤)؛ وأحد الاثنين اللذين صُلِبَا معه، إذ أدرك براءة المسيح وطهارته فقال: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدَلٍ، لَأَنَّا نَنَالُ أَسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لوقا ٢٣: ٤١)؛ والقائد الروماني الذي أشرف على صلبه

أذهله سمو المسيح الأخلاقي فقال: «حَقًّا كَانَ هَذَا أَبْنَى اللَّهِ» (متى ٢٧: ٥٤).

ولا تقل شهادة المؤمنين والرسول لعصمة المسيح عن تصريحات هؤلاء، خاصة وهم الذين تقربوا إليه وتعرفوا على ما قد نسميه «حياته الخاصة». وهم بالطبع أول من تقع عليه مسؤولية الردّ على ادعاءات المعارضين، فكان لزاماً عليهم أن يكونوا الأكثر حرصاً على عدم التورط في تصريحات أو أقوال يستعملها أعداؤهم ليببرهنوا ضلالهم. ومع ذلك نجد أن التردد لم يطرأ على بالهم وهم يؤكدون عصمة سيدهم، فقال له الرسول بطرس: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْخَلِيِّ» (يوحنا ٦: ٦٩)؛ وقال إنه «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِيهِ مَكْرٌ» (١ بطرس ٢: ٢٢)؛ وقال الرسول يوحنا عنه: «نَبِيٌّ فِيهِ خَطِيئَةٌ» (١ يوحنا ٣: ٥)؛ وقال كاتب رسالة العبرانيين: «مَجْرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ» (٤: ١٥)؛ وقال: «بِرُوحٍ أَرْزَلِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلا عَيْبٍ» (٩: ١٤)؛ أما الرسول بولس، مضطهد أتباع المسيح، الذي اهتدى بعد ذلك فقال إن المسيح: «لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً» (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

وتدل تصريحات المسيح على وعيه الدائم بضرورة القيام دوماً بما يُرضي الله (يوحنا ٩: ٤)، وكان في صراع مستمر ضد مغريات إبليس الهادفة لإسقاطه وتفشيل مهمته الخلاصية، والواقع أنّ مواجهته المباشرة مع عدو الخير كانت جزءاً لا يتجزأ من عملية التحضير لخدمته الجهارية، بل إنها كانت مفتاح تلك الخدمة، لأنها كانت تمثل الحاجز الرئيسي الذي كان يجب عبوره قبل البدء في تلك الخدمة، فقد حاول إبليس أن يجربه ويغريه بنفس الإغراءات التي تعرّض لها أبوانا آدم وحواء (قارن تكوين ٣: ١-٧ مع لوقا ٤: ١-١٣). وقد تركزت على شهوة الجسد (الأكل) وشهوة

العيون (المنظر الخارجي المغربي) وشهوة العظمة الاجتماعية (أي تحسين وضع الفرد ومركزه الاجتماعي). وبينما الرغبة في أكل ثمرة الشجرة المحرمة والتمتع بمظهرها الجميل، والسعي للوصول إلى مركز الإله الخالق (الذي وعدت الحية حواء به) كانت قد أضعفت صمود حواء وآدم وأسقطتهما في العصيان، فإن المسيح استطاع، ورغم شدة جوعه بعد أربعين يوماً من الصوم والضعف الجسدي، أن يردّ إبليس ويقهره بعد كل هجوم. ولم يثبت آدم وحواء في كلمة الله ومواعيده، وصدّقا تشكيك الشيطان في صدقها. أما يسوع فكان متسلحاً بكلمة الحق الموحى بها من الله، التي بواسطتها صدّ كل تيارات الهجوم الشيطانية. عندما عاود إبليس الكرّة الهجومية محاولاً إغراء يسوع عن تكميل مهمته الخلاصية، وكان يسوع واعياً لذلك وقال: «رَبِّيسَ هَذَا أَلْعَالَمِ (أي الشيطان) يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ» (يوحنا ١٤ : ٣٠).

ولعل أبرز وأعظم ما ورد في الوحي الإلهي من أدلة على عصمة يسوع، ما قاله هو في مواجهته للقيادات اليهودية الدينية التي بنت حياتها على تقوى خارجية منافقة زائفة. فبعد أن قال لهم إنهم ينتسبون إلى إبليس الكذاب والقتال، وإنهم ينفذون شهواته الشريرة، وتحداهم مشيراً لعصمته، وإلى تلك الهوة الأخلاقية والروحية الساحقة التي تفصله عنهم، فيقول: «مَنْ مِنْكُمْ يُكَنِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟» (يوحنا ٨ : ٤٦). والمسيح هنا- لم يكن يقصد التمييز بين كماله وعصمته، وبين شرّ وفساد ورياء هؤلاء القادة فحسب، بل أنه طرح وبدون تردد حقيقة تميّزه عن كافة البشر بذلك الكمال وتلك العصمة.

صحيح أن يسوع في تجسّده خضع لكافة مغريات وتجارب السقوط في العصيان التي يتعرض لها البشر، لكنه هو وحده لم يسقط، وهو وحده لم يكن من الممكن أن

يفشل. لقد كان من المستحيل أن يرتكب خطية، لأنه وهو في طبيعة بشرية محدودة كان لا يزال يتمتع بطبيعة إلهية. والله لا يمكن أن يرتكب خطأ. هذا أمر جوهري للغاية يؤهله لأن يأخذ على عاتقه المهمة الخلاصية الهامة التي حملها. من هنا كان لعصمته وكماله حق تحمّل نتيجة خطية عدد لا يُحصى من البشر. من هنا أيضاً مثّل انتصاره على الموت انتصاراً على الخطية التي تقودهم إلى الموت، وبالتالي تأمين الحياة الأدبية الأكيدة له، وليس مجرد الوفاء بمتطلبات العدالة الإلهية بالنيابة عنهم (راجع ١كورنثوس ١٥: ٥١-٥٨).

الفصل التاسع:

المسيح ابن الله

لقب «ابن الله» من أهم الألقاب المنسوبة للمسيح، فهو اسم يسترعي الانتباه، لكرامة المسيح، وخاصة من جهة ألوهيته التي تدل على أنه مؤهل تماماً للتحدث عن أمور الله. وهو ما استرعى انتباه وإعجاب نثنائيل عندما أدرك مندهشاً أن المسيح يعرف ماضيه المستور، فهتف: «يَا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنا ١: ٤٩). أما المعارضة لطبيعة المسيح الإلهية والاشمئزاز منها فقد اتضحت جلياً في محاولة التشكيك التي أجراها إبليس عندما تحدّى المسيح قائلاً: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً» و«إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَأَطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلِ» (أي من جناح الهيكل العلوي) (متى ٤: ٣، ٦). هذا حدث أيضاً عند إخراج للشياطين فصرخوا عند خروجهم: «مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَيْنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِنُعَذِّبَنَا؟» (متى ٨: ٢٩). أما تعليق المسيح على القصد من موت لعازر وإقامته فكان:

«الْأَجَلِ مَجْدُ اللَّهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ» (يوحنا ١١ : ٤). أما اعتراف التلميذ بطرس عن المسيح في قوله له: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى ١٦ : ١٦) فيرجع لإدراكه ألوهية المسيح. وصرح البشير يوحنا أنه قصد من كتابة بشارته «لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ» (يوحنا ٢٠ : ٣١).

يجب أن نفهم تعبير «الأب» و«الابن» في المفهوم العبري أن «الأب» و«الابن» نظيران متطابقان ومتساويان في الطبيعة والكيان. ففي كل مرة يدعو فيها الكتاب المقدس المسيح «ابن الله» يقصد أن ينبّر على حقيقة وأصالة ألوهيته. فهو يحمل نفس طبيعة الأب. وكما أن أي ابن بشري تكون طبيعته بشرية مطابقة لطبيعة أبيه، هكذا المسيح ابن الله هو مثل أبيه في جوهر طبيعته الإلهية، تلك الطبيعة التي لا يشارك فيها الله أي مخلوق. الأب والابن والروح القدس هم واحد، معاً في جوهرهم وطبيعتهم وأزليتهم، وهم متساوون في القدرة والمجد، كانوا ولا زالوا موجودين في أقانيمهم الثلاثة المتميزة. وعلينا أن نتذكر أن الاسمين «الأب» و«الابن» ليسا بالضرورة كافيين للتعبير الكامل والتام عن العلاقة التي تربط الأقنومين الأول والثاني في الثالوث، ومع ذلك يبقى هذان الإسمان أفضل ما لدينا نحن البشر للتعبير عن هذه العلاقة، فإنهما يعبران ليس فقط عن وحدتهما في الجوهر والطبيعة، بل أيضاً عن علاقة المحبة المتبادلة بينهما. فالمسيح هو ابن الله منذ الأزل، أما نحن فنصير أولاد الله بعد أن ننال التبني بالنعمة. المسيح هو ابن الله بحقه الأزلي الخاص، أما نحن فنصبح أولاداً لله بعدما نُولد من جديد وننال الحياة الجديدة في المسيح، فيُحسب لنا بَرّه وطهارته. وصيرورتنا أولاداً لله لا تعني أن تكون لنا الألوهية التي للمسيح، لكنها تعني أننا قد عدنا إلى مشابهة

أخلاقية وروحية أكمل من تلك التي كانت لنا عند بدء الخليقة، والتي تشوهت وتحطمت معالمها بواسطة الخطيئة. الله هو أب الرب يسوع المسيح بمعنى خاص يختلف كل الاختلاف عن كونه أب المؤمنين به. صحيح أن يسوع حدّث تلاميذه عن الله كأبيهم الذي في السموات، لكنه في الوقت نفسه أظهر أن أبوة الله لهم هي بمعنى محدود وليس بالمعنى غير المحدود الذي يرتبط هو فيه بأبوة الآب. فبنوّتهم الله هي نتيجة ارتباطهم بالمسيح الذي هو الابن الحقيقي الكامل لله. وأوضح المسيح ذلك في قوله لتلاميذه: «الآبَ نَفْسُهُ يُحِبُّكُمْ، لِأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي، وَأَمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ» (يوحنا ١٦: ٢٧). هذا ما عبّر عنه البشير يوحنا بقوله: «أَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِأَسْمِهِ» (يوحنا ١: ١٢).

لا يتفق الكتاب المقدس مع النظرية التي تدّعي أن الجميع إخوة. فبنوّتنا لله لا تبنى على العلاقة التي نتجت عن أن الله هو خالق كل البشر، إنما هي مبنية على العلاقة الروحية التي يحصل بواسطتها البشر على الخليقة الجديدة في المسيح. وكخليقة جديدة يصبح المؤمنون أولاداً لله بإيمانهم بالمسيح. إن الله هو أب الجميع بمعنى أنه مصدر حياتهم، لكن أولاده الحقيقيين بين البشر هم الذين ولدوا من جديد (يوحنا ٣: ٣) «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ» (٢كورنثوس ٥: ١٧) «لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْفَعِدُونَ بِرُوحِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ» (رومية ٨: ١٤). كل المسيحيين الحقيقيين هم «أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٦). «فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذَا نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ» (غلاطية ٣: ٢٩).

فمعنى كلمة «أب» خارج دائرة التبني بواسطة المسيح معنى سطحي جداً، لأنه

في المسيح وحده نقدر أن نعرف الله بالحقيقة: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَمَنْ أَرَادَ الْآبْنَ أَنْ يُغْلِلَ لَهُ» (متى ١١: ٢٧). أما الذين يبقون في خطيتهم وسقوطهم، دون تجديد فليسوا أولاداً لله، بل هم أولاد إبليس لأنهم كابليس وشركاء له في طبيعته الشريرة «بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءُ الْغَضَبِ» (أفسس ٢: ٣). قال يسوع لمقاوميه: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا» (يوحنا ٨: ٤٤) «أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ.. لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لَأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ» (يوحنا ٨: ٣٨-٤٢).

قال الرسول بولس لعليم الساحر: «أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلِّ غِشٍّ وَكُلِّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَا عَدُوَّ كُلِّ بَرٍّ! أَلَا تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمَةِ» (أعمال ١٣: ١٠). وعندما نؤمن بالمسيح نصير أولاداً لله لأنه «سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّابِتِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ» (أفسس ١: ٥)، أما المسيح فهو ابن الله بنوة أصيلة فقال عن نفسه: «أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ٣٠). و«الَّذِي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَى الْآبَ» (يوحنا ١٤: ٩) و«مَنْ لَا يُكْرِمُ الْآبْنَ لَا يُكْرِمُ الْآبَ» (يوحنا ٥: ٢٣) وقال بولس إن المسيح: «صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كولوسي ١: ١٥) وإن «اللَّهُ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢ كورنثوس ٥: ١٩) و«فِيهِ يَجِلُّ كُلُّ مِلءِ آلَافِ هَوَاتٍ جَسَدِيًّا» (كولوسي ٢: ٩). وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن المسيح «بِهَاءِ مَجْدِهِ (مجد الله)، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عبرانيين ١: ٣). وإضافة إلى كل ذلك فإن عظام المسيح تدل على وعيه الدائم بألوهيته، لأنه كان يدرك النوعية الخاصة لعلاقته بالله الآب، وكذلك كان الله الآب مدركاً كل الإدراك لبنوة المسيح الفريدة.

ومساواة المسيح للآب ووحده معه واضحا في اللقبين «الآب» و«الابن».

وتظهر هذه المساواة من قوله لليهود: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» ونتيجةً لكلامه: «كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوحنا ٥: ١٧، ١٨). بعد ذلك حاولوا قتله رجماً بالحجارة قائلين له: «لَسْنَا نَرَجُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً» (يوحنا ١٠: ٣٣). والقول إن المسيح هو ابن الله، كان سبب اتهام رئيس الكهنة له، وهو ما أدَّى إلى الحكم عليه بالموت صليباً (متى ٢٦: ٦٣-٦٦)، وهم يقولون: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ أَبْنَى اللَّهِ» (يوحنا ١٩: ٧). ولم ينكر يسوع هذه التهمة، بل اعترف بصحتها.

قال أحد كبار اللاهوتيين: «أخذ المسيح عن أبيه السماوي الطبيعة الإلهية، وهو أمر متميز ومختلف عن ناسوته. ويطلق الوحي اسمين على المسيح فيدعوه أحياناً «ابن الله» وأحياناً أخرى «ابن الإنسان». والاسم «ابن الإنسان» يشير إلى أنه من ذرية آدم، وإلى أنه نموذج لما يجب أن يكون الإنسان عليه. أما تسمية المسيح «ابن الله» فتشير إلى ألوهيته وكيانه الأزليين. فمن البديهي أن يشير كونه «ابن الإنسان» إلى طبيعته البشرية».

يتضح لنا أن لقب «ابن الله» كان المقصود منه إعلان طبيعة المسيح كإله، فالذي وُلد من نسل داود بحسب الجسد هو نفسه الذي تبرهن بقوة أنه «ابن الله» (رومية ١: ٣، ٤)، فإن الذي «حسب الجسد» أتى من نسل عبراني قد تعيَّن أيضاً «عَلَى أَكُلِّ إِلَها مُبَارَكاً إِلَى الْأَبَدِ» (رومية ٩: ٥). فعلياً أن نؤمن بالابن كما نؤمن بالآب، وأن نكرم الواحد كما نكرم الآخر.

الفصل العاشر:

أهمية الإيمان بألوهية المسيح

يَعْلَمُ الكتاب المقدس ألوهية المسيح بجلاء ووضوح. وهذا الأمر مفروغ منه بالنسبة لكل من يؤمن أن الكتاب هو كلمة الله. لا يوجد مجال للجدل في أن يسوع المسيح عرّف نفسه في الإنجيل على أنه الله المتجسد. ومن المؤكد أن البشر الذين اختارهم الله لتدوين سجلات العهد الجديد كانوا يتمسكون بهذه الحقيقة الهامة والسامية، ولم يترددوا في عبادة المسيح كالله. ثم أن الكنيسة المسيحية عبر العصور بكافة طوائفها تمسكت بألوهية المسيح الذي تتعبد له. هذا واضح من كافة السجلات العقائدية، من قوانين الإيمان إلى الترانيم الروحية والكتابات التعبدية. ففي كتابات وسجلات كل جيل نجد أن التمسك بألوهية المسيح هو عقيدة كل من قرأوا سجلات الوحي الإلهي وتبنوا تعاليمها.

إن إنكار ألوهية المسيح واعتباره مجرد معلم أو نبي عظيم، يتناقض مع مضمون الوحي الإلهي. فإنكار تعاليم الوحي الإلهي

يبعد الإنسان عن منبع الحكمة والحق، ويدفعه إلى تفاسير عقلانية سطحية لأمر لا يمكن فهمها إلا بالحكمة الروحية التي أوحى بها الله. فالحياة كل الحياة تكمن في هذا الإدراك الروحي، والاعتراف الصادق بألوهية الفادي. هذه هي الحياة الأبدية أن يؤمن البشر بالمسيح المخلص. إن عدم وجود هذا الإيمان الكتابي بالمسيح يقود إلى موت روحي أبدي، فإن «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْأَبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْأَبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يوحنا ٣: ٣٦).

الإيمان بألوهية المسيح حسب تعليم الكتاب المقدس أمر أساسي للغاية، ويُعتبر مقياس التمييز بين الحق والباطل. قال الرسول يوحنا: «أَيُّهَا الْأَجَبَاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلْ أَمْتَحِنُوا أَلْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنْ اللَّهِ؟ لَأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ.. وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحٌ ضِدَّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالْآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ» (١ يوحنا ٤: ٣-٤). وقال الرسول بولس: «لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (١ كورنثوس ١٢: ٣) ومعنى هذا: إن الذي استنار من الروح القدس يعترف بالمسيح يسوع رباً ومخلصاً، لأنه آمن بألوهية المسيح. فالذي يتأمل يسوع بعينه غير المستنيرتين من الروح القدس لا يرى فيه سوى إنسانيته. وقد يصل إلى الإقرار بأن المسيح كان نبياً عظيماً، وأن مبادئه سامية للغاية، لكن هذا غير كاف، لأنه نصف الحقيقة. وحالما يجدد الروح القدس الإنسان وينير بصيرته الروحية، يرى نفسه خاطئاً أمام الله، محكوماً عليه بالهلاك، ويرى في نفس الوقت بعين الإيمان الجديدة أن يسوع المسيح هو حقاً ابن الله المتجسد الذي صُلب لأجل خطاياه، وقام من الأموات، وهو

جالس الآن عن يمين الله الآب بكل مجد وسلطان.

كتب أحد كبار اللاهوتيين عن هذه الحقيقة قائلاً: «كل من يؤمن أن يسوع الناصري هو الله الذي ظهر في الجسد، ويحبه ويطيعه، يكون قد وُلد من الله. أما الذي ينكر هذا الحق فهو عدو المسيح لأن من ينكر الابن ينكر الآب أيضاً، فإنكار الواحد هو إنكار للآخر». وهذا ما قاله الرسول بولس: «إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي أَهْلَالِكِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُضِيَّ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ» (٢كورنثوس ٤: ٣، ٤). وعلى هذا فإن الهالكين هم الذين لا يرون ولا يؤمنون أن يسوع هو الله المتجسد، ففي الحياة مع المسيح المجد والبركة والهناء والحيوية. ومن المحال أن تكون الحياة هنيئة بمعزل عن مصدرها وبارئها. فالذي يؤمن بالمسيح يحيا إلى الأبد، لأن الإنسان لا يحيا من ذاته، بل المسيح هو الذي يحييه ويحيا فيه. وبذلك يصبح كاملاً فيه.. فإبنا بواسطة الإيمان به فقط نحصل على الفرح الحقيقي بسبب محبته وافتدائه لنا. قال الرسول بولس: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا» (أي مردولاً)» (١كورنثوس ١٦: ٢٢). فإنكار ألوهية المسيح ورفض قبوله مخلصاً شخصياً، وعدم محبته والثقة به وعبادته وخدمته كإله، هي أسباب دينونة الله على كل الذين يسمعون الإنجيل ويرفضونه. فإن «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْأَبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْأَبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ» (يوحنا ٣: ٣٦).

الجزء الثاني

المسيح الإنسان

الفصل الأول

براهين إنسانية المسيح

في إجابة السؤال: «من هو فادي مختاري الله؟» يقول كتاب أصول الإيمان: «إن الفادي الوحيد لمختاري الله هو الرب يسوع، الذي وهو منذ الأزل ابن الله، صار إنساناً، وهكذا كان ولا يزال إلهاً وإنساناً معاً، ذا طبيعتين متميزتين وأقنوم واحد إلى الأبد».

وفي إجابة السؤال: «كيف صار المسيح إنساناً وهو ابن الله؟» يجب كتاب أصول الإيمان: «إن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذه لنفسه جسداً حقيقياً ونفساً ناطقة، إذ حُبِلَ به بقوة الروح القدس في رحم مريم العذراء، ووُلِدَ منها بدون خطية».

رأينا في القسم الأول من هذا الكتاب أن المسيح يتمتع بطبيعة الهية، وله كل صفات وألقاب الله. ومع هذا كله يجب أن نذكر أنه وهو على الأرض تمتع بطبيعة بشرية حقيقية وكاملة. فقد كان عظماً من عظامنا ولحماً من لحمنا، عاش أثناء وجوده على الأرض كأبي إنسان آخر، عُرضة لكل الصعوبات والتجارب

والآلام. فمن جهة ناسوته أو طبيعته البشرية، هو واحد منّا تماماً، كما كان متحداً بالله من جهة طبيعته الإلهية. فعندما كان طفلاً كانت له صفات الأطفال ومشاعرهم، وعند نموه «تَقَدَّمَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنَّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ» (لوقا ٢: ٥٢) علّمته أمه أمور الله الطاهرة، وعند ركبتها كان يركع ليصلي. وتربى في الناصرة التي لم تكن لها مكانة معتبرة ولا شهرة ذائعة. أما يوسف ومريم فقد احتفظا بتلك العجائب التي رافقت طفولته. ومن المرجح أن أمه لم تخبر بها إلا الفريق المقرب من تلاميذه بعد قيامته. أما رفاق وأقرباء ومعاصرو المسيح فالأغلب أنهم لم يلاحظوا أنه خلال نموه كان يتمتع بمزايا معجزية. ومن المرجح أن يوسف الذي كان خطيب أمه مات قبل أن يبدأ يسوع خدمته الجهارية. وبما أن يسوع كان الابن البكر قام بمسؤولية إعالة أمه وبقيّة أسرته، وكنّجار كان يعرف معنى الكدّ اليومي. ومع أن الكتاب المقدس يسمّي المسيح «آدم الثاني» فإنه لم يأت إلى عالم البشر كإنسان بالغ، بل مرّ بكل مراحل الاختبارات البشرية من طفولته حتى رجولته. لقد عاش يسوع حياة بشرية في كل لحظة وساعة ويوم من وجوده في عالم البشر.

وقد تضمّن أول مواعيد الوحي الإلهي بمجيء المخلّص حقيقة ناسوت المسيح، للتأكيد على أنه سيكون «نسل المرأة» الذي يسحق رأس الحية (تكوين ٣: ١٥). وهذا يدل على أن الله قصد أن يستخدم نائباً بشرياً للقيام بمهمة الفداء. أما الوعد المعطى لإبراهيم فيدل أيضاً على أن العهد الأبدي المقام معه من الله سيتحقق في نسله (تكوين ١٧: ١٩ و٢٢: ١٨). وقال عنه الرسول بولس إنه لم يتم في الشعب اليهودي عامة بل في المسيح بالذات (غلاطية ٣: ١٦، ١٧). أما داود فكان قد تلقّى وعداً أن نسله سيجلس

على عرشه من بعده إلى الأبد (٢ صموئيل ٧: ٢-١٦ و٢ أخبار ٦: ١٦). وهو ما قاله المرنم: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ» (مزمو ١٣٢: ١١). وهو ما قاله النبي إشعياء إنه سيولد من عذراء بطريقة معجزية (إشعياء ٧: ١٤)، وذكر النبي ميخا أنه سيولد في بيت لحم (ميخا ٥: ٢).

وينسب العهد الجديد إلى المسيح مشاعر واختبارات بشرية حقيقية. فيما يلي بعضها:

١- الولادة:

«وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ» (متى ٢: ١) .. «وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مَخْصُصٌ» (لوقا ٢: ١١).

٢- النمو:

«وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمَثِّلِنَا حِكْمَةً» .. «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنَّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ» (لوقا ٢: ٤٠، ٥٢).

٣- التعب:

«فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبَنْرِ» (يوحنا ٤: ٦).

٤- النوم:

«غَطَّتِ الْأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُوَ نَائِمًا» (متى ٨: ٢٤) .. «وَكَانَ هُوَ فِي الْمَوْحَرِ نَائِمًا، فَأَيْقَظُوهُ» (مرقس ٤: ٣٨).

٥- الجوع:

«قَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَجِيراً» (متى ٤ : ٢) .. «وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ» (متى ٢١ : ١٨)

٦- العطش:

«يَسُوعُ.. قَالَ: أَنَا عَطْشَانُ» (يوحنا ١٩ : ٢٨).

٧- الغيظ:

«فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِيناً عَلَى غِلَاطَةِ قُلُوبِهِمْ» (مرقس ٣ : ٥) .. «فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ أَغْتَاطَ» (مرقس ١٠ : ١٤)

٨- الحنو والعطف:

«لَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ» (متى ٩ : ٣٦) .. «فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ (على الأبرص) وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ» (مرقس ١ : ٤١)

٩- المحبة:

«فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ» (مرقس ١٠ : ٢١) .. «وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ» (يوحنا ١٣ : ٢٣)

١٠- الفرح:

«كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ» (يوحنا ١٥ : ١١)

١١- الحزن والهم:

«وَأَبْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَنِبُ» (متى ٢٦: ٣٧) .. «بَكَى يَسُوعُ» (يوحنا ١١: ٣٥) .. «الآنَ نَفْسِي قَدْ أَضْطَرَبَتْ» (يوحنا ١٢: ٢٧).

١٢- التجربة:

«ثُمَّ أَصْعَدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرِّبَ مِنْ إِبْلِيسَ» (متى ٤: ١) .. «لَأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ» (عبرانيين ٢: ١٨)
«لَأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَنْبِسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيئَةٍ» (عبرانيين ٤: ١٥).

١٣- الصلاة:

«صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ» (متى ١٤: ٢٣) .. «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ» (لوقا ٢٢: ٤٤) .. «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعَ طِلْبَانٍ وَتَضَرُّعَاتٍ» (عبرانيين ٥: ٧).

١٤- التَّأَلُّمُ:

«هُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِخُبْرِهِ شُفِينَا» (إشعياء ٥٣: ٥) .. «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ.. أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ» (لوقا ٢٤: ٤٦) .. «مَعَ كَوْنِهِ أَبْنَاءُ تَعَلَّمُوا الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ» (عبرانيين ٥: ٨).

١٥- الموت:

«فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ» (متى ٢٧: ٥٠).. «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كورنثوس ١٥: ٣).

كانت للمسيح طبيعة بشرية حقيقية، بما فيها من صفات البشر العادية، وكان عرضة لنفس الميل البشرية الطبيعية. وقيل إنه «يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهَ إِخْوَتَهُ (أي البشر) فِي كُلِّ شَيْءٍ» (عبرانيين ٢: ١٧). وقال لليهود: «تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ» (يوحنا ٨: ٤٠). وقد دعاه بعض معاصريه «إنساناً» فقال بيلاطس عنه: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ» (يوحنا ١٩: ٥). وقال عنه الرسول بطرس: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهْن لَكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ» (أعمال ٢: ٢٢).. وقال بولس: «يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تيموثاوس ٢: ٥).

وتدل سلسلة نسب المسيح على ناسوته (راجع متى ١: ١-١٧ ولوقا ٣: ٢٣-٣٨) كما تدل على أنه الوارث الملوكي والشرعي لداود. ثم أن لقب «ابن الإنسان» بغض النظر عما يحويه من معنى شاسع وعميق، يشير في معناه الأساسي إلى طبيعة المسيح البشرية. وقد آمنت الكنيسة المسيحية بكل طوائفها على مدى العصور والأجيال أن مسيحها لم يكن إلهاً فحسب، بل كان إنساناً أيضاً.

كان يسوع «يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس» فكأنسان لم يكن عليمًا بكل شيء، لأن الطبيعة البشرية تتصف بالمحدودية، فكانت له المحدودية التي للبشر، ومن نتائجها أنه تعجب من إيمان قائد المئة (لوقا ٧: ٩)، وقال إنه لم يكن

يعرف وقت انقضاء العالم: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ» (متى ٢٤: ٣٦ راجع مرقس ١٣: ٣٢).

عندما كان يسوع يشفي المرضى كان يستعمل قوة معجزية فوق طبيعية، فعندما لمست ثوبه امرأة مصابة بنزيف دم مزمن، سأل وهو بين الجموع عن الذي لمسه، لأنه شعر أن قوة خرجت منه (لوقا ٨: ٤٥. راجع مرقس ٥: ٢٥-٣٤). وعندما أخبره مبعوث أسرة لعازر أن لعازر مريض، عرف يسوع أن لعازر قد مات، ويعرف القصد من المرض «لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتِمَّجَدَ ابْنُ ابْنِ اللَّهِ بِهِ» (يوحنا ١١: ٤). ورغم معرفة يسوع أن لعازر مات سأل: أين وضعوه، وبكى مع الأختين البكيتين. لكنه أظهر قوته المعجزية بإقامة لعازر من الأموات بعد موته بأربعة أيام (يوحنا ١١: ١-٤٤) وعند عودته من بيت عنيا جاع ورأى من بعيد شجرة تين عليها ورق، وعندما اقترب إليها لم يجد فيها ثمراً، فأيبسها بمجرد أمر منه (مرقس ١١: ١٢-١٤ و١١: ٢٠).

كتب أحد كبار اللاهوتيين: «قال يسوع استناداً إلى البشير مرقس ١٣: ٣٢، إنه كان يجهل موعد يوم الدينونة، كما أنه أظهر لنا مراراً رغبته في الحصول على معلومات من البشر. لقد كان بالفعل محدوداً في طبيعته البشرية، ولكن بدون أي نقص في صفاته. وكان أيضاً عُرضة للتجارب، كما كان يشعر دائماً بحاجته للاعتماد على الله. وهو رجل صلاة مُلِّمٌ بالفرق بين ما يتعارض مع مشيئة الله وشريعته، وما ينسجم ويتفق معها. لم يكن يَتَمَتَّعُ بعقل إنسان فقط، بل بقلب إنسان أيضاً، وأكثر من ذلك إنسان بدون خطية. ومن الضروري أن ندرك أنه قد نما تماماً كما ينمو البشر، وهذا

لا ينطبق على أيام حياته فحسب، بل أيضاً على كل مرحلة من مراحل حياته البشرية على الأرض. فقد تَمَّ نموه في المعرفة والحكمة والاحترام والإحسان والقوة الأخلاقية والطهارة والقداسة.

كان من الضروري أن يختبر المسيح كل ما هو للإنسان. ومن الضروري أن نتأكد نحن من البراهين على صحة وحقيقة وأصالة ناسوت المسيح. ومن الواجب أيضاً أن نتأكد من كمال طبيعته الإلهية. ففي نفس الوقت الذي يبدو فيه المسيح غير عالم بقضية معينة نراه عالماً بكل شيء عنها (راجع مرقس ١٣؛ ٣٢ ويوحنا ١٦: ٣٠ و٢١: ١٧). وفي نفس الوقت الذي نرى فيه أنه رغب في الحصول على معلومات من مصادر خارجية، وسأل عن أمور لا يعرفها، وتعجب من أمور أخرى، فإنه أظهر أيضاً أنه كان ملماً بكل ما يحدث أو ما قد حدث دون أن يخبره أحد. فعرف تفاصيل حياة نثنائيل السرية (يوحنا ١: ٤٧)، كما عرف خفايا حياة السامرية (يوحنا ٤: ٢٩)، وكان يعرف ما يدور في أفكار أعدائه (متى ٩: ٤)، وعرف كل ما في الإنسان (يوحنا ٢: ٢٥). ولم يشوَّش هذا الواقع المزدوج يسوع ولا أزعجه. صحيح أن رسول الأختين أخبره بمرض لعازر، ولكنه لم يكن في حاجة لمن يخبره أن لعازر قد مات. وفي الوقت الذي عبّر فيه عن ناسوته ومشاعره في بكائه على لعازر وحزنه عليه، فإنه عبّر عن ألوهيته بإقامة لعازر من الموت بأمر نطق به.

في كل مكان نرى هذه الحقيقة المزدوجة العجيبة في حياة يسوع المسيح، فكان يتمتع بطبيعة إلهية وبشرية في آن واحد. والذين يعرفون يسوع المسيح من العهد الجديد، يجدون أنه لم يكن إنساناً فحسب، بل كان أعظم، فكان يحس بمشاعر من يقترب إليه

من البشر، فرحّب بالأطفال الذين جاءت بهم أمهاتهم إليه ليباركهم، وفتح قلبه للسامرية وأصغى لها باهتمام عند لقائه بها، وشعر بعمق مع مريم ومرثا وشاركهما البكاء على أخيهما لعازر، وصادق صيادي الجليل الفقراء الذين كانت مظاهرهم الخارجية تعلن فقرهم وثقافتهم المحدودة.

أما نحن فنجد أنفسنا مرتبطين به بأقوى وأوثق الروابط الشخصية من المحبة والصداقة. فيقول لنا ما قاله للمسيحيين الأولين: «أنتم أحبائي» مع أنه خالقنا وربنا. ونحن بالفعل نتكل عليه ونطيعه، ولكننا ندعوه صديقاً لنا. فالحقيقة هي أننا لا نكون قد دخلنا بالفعل إلى حياة الشركة معه ما لم نتعرف عليه، ليس فقط رباً وخالقاً، بل أيضاً كصديق حميم. لقد قال لتلاميذه: «لَا أَعُودُ أَسْمِيكُمْ عِبِيداً، لَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ سَيِّدُهُ، لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي» (يوحنا ١٥ : ١٥). وعبر العصور والأجيال لا زال صوته يدوي قائلاً: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١ : ٢٨). وكل مسيحي حقيقي لا بد يشعر أنه «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (يوحنا ٢١ : ٧).

الفصل الثاني:

تجسد المسيح

جواباً على السؤال: «كيف صار المسيح إنساناً وهو ابن الله؟» يجيب الكتاب المختصر لأصول الإيمان: «إن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذَه لنفسه جسداً حقيقياً ونفساً عاقلة، إذ خُبل به بقوة الروح القدس في رحم مريم العذراء، وُولد منها، بدون خطية».

خلق الله الإنسان، خلافاً لكل الحيوانات، على صورته، وأعطاه طبيعة روحية وعقلية ونفساً حية. وقال الرسول بولس إن الله «عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً، لَأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَّحَرِّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال ١٧: ٢٧، ٢٨). ومع أن العنصرين الإلهي والبشري متميزان أحدهما عن الآخر، وليسا مختلفين ولا متضادين ولا متعارضين، فالإنسان شرارة من نار عظيمة، أو إناء فارغ بحاجة لأن يمتلئ من النبع غير المحدود، فلا معنى لوجوده إلا في صلته بالله. وبما أن الإنسان مخلوق على صورة الله، أخذ سلطة على مخلوقات

الأرض (تكوين ١: ٢٨) فصار يتمتع بمركز إلهي مصغر ومحدود. ويقول الوحي الإلهي عن البشر: «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ إِلَهَةٌ، وَتَبَرُّوْا عَلَيَّ كُلَّكُمْ» (مزمور ٨٢: ٦) وهذا ما اقتبسه المسيح عندما وجَّه كلامه لليهود قائلاً: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ إِلَهَةٌ؟» (يوحنا ١٠: ٣٤). إذن الترابط بين العنصرين الإلهي والبشري هو من نتائج خلق الله للإنسان. وبما أن الإنسان خلق على صورة الله، فإن المسيح، كلمة الله الأزلي أمكنه وهو كامل الألوهية أن يصبح ابن الإنسان، لأن الإنسان هو بالطبيعة ابنٌ لله.

لم يكن التجسد غاية في ذاته، بل كان وسيلة لهدف هو خلاص البشر، لأن الإنسان بسقوطه في خطية العصيان وعدم الثقة في قول الله فصل نفسه عن الله، وضيع كل القدرة على تدبير خلاصه بنفسه. لهذا حدث التجسد، واحتمل الله على نفسه مسئولية خلاص الإنسان. فانه الذي تجسد في جسم بشري أخذ مكان الإنسان وحمل مسئوليته في تتيم مطالب الشريعة والعدالة الإلهيتين. ولأنه إله يمكنه أن يعطي قيمة غير محدودة لذلك «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلَائِكَةُ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَجِيماً، وَرَبِّيسَ كَهَنَةٍ آمِيناً فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ» (عبرانيين ٢: ١٤-١٧).

وقال الرسول بولس في فيلبي ٢: ٥-١١ إن المسيح «كان في صورة الله» لكنه «أخلى نفسه، أخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس». وقال في ٢ كورنثوس ٨: ٩ عن المسيح «أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنَوْا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ». وفي غلاطية

٤: ٤ يقول: «وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مَلَأُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّنْبِيَّ» وفي كولوسي ١: ٢٩ و٢: ٩ يقول: «لَأَنَّهُ فِيهِ سُرٌّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمَلَأِ».. «فَإِنَّ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مَلَأِ اللاَّهُوتِ جَسَديًّا». المسيح إذاً في ولادته من امرأة أخذ لنفسه طبيعة بشرية. ومع أنه بقي على سموه الإلهي إلا أنه صار إنساناً حقاً، فإن حلول «كل ملأ اللاهوت» في جسد المسيح يعني أن الله لبس لباساً جسدياً.. وكل من يتطلع إليه يرى جسداً وإنساناً، ولكن في المسيح نرى الله بالذات، بكل كمال لاهوته في لباس إنساني. ولا عجب فهو «الله ظهر في الجسد» (١٦: ٣: ١٦).

لم تكن غاية الله من التجسد أن يوفر الفداء لبني البشر فقط، بل أيضاً أن يعلن عن ذاته لهم بصورة أكثر كمالاً مما أوضحه كل الأنبياء. في فترة العهد القديم كلم الله البشر بواسطة الأنبياء، وكشف لهم شيئاً عن طبيعته وعن حالة الإنسان الخاطئة التعيسة، وعن مخططة الإلهي للخلاص. لكن فترة العهد الجديد تتميز بأن الله جاءنا في المسيح وأعلن لنا وحيّاً عن نفسه وعن مخطط الخلاص: أن البشر بأعينهم المجردة رأوا من هو الله في الحقيقة. «اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ» (يوحنا ١: ١٨) لكن في المسيح، الله الذي هو الروح غير المحدود، كشف عن نفسه للبشر في هيئة البشر المحدودة، فصار في استطاعة البشر المحدودين أن يدركوه في نطاق قدرتهم المحدودة. وعندما دخل المسيح في هذه العلاقة الشخصية مع الطبيعة البشرية أضفى عليها بركة لا تُوصف نتيجة تدخل اللاهوت فيها بالتجسد. وبهذا فإن الطبيعة البشرية أصبحت ذات مكانة أسمى من مكانة الملائكة، لأن الله لم يختار أن يقترب بمثل هذه العلاقة الشخصية الحميمة مع أي

من خلافه سوى مع البشر. «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوَّلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ حَقّاً لَيْسَ يُمَسِّكُ الْمَلَائِكَةَ، بَلْ يُمَسِّكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ» (عبرانيين ٢: ١٤-١٦). كما أن الطبيعة البشرية التي اتخذها المسيح لنفسه في التجسد ستبقى له إلى الأبد. لقد أحضرها معه حين قام من الموت وعاد بها إلى الأب. ففي السماء ظهر ليوحنا كشبه ابن إنسان في صورة بشرية (رؤيا ١: ١٣) ورأى استفانوس وهو يستشهد مجد الله، ويسوع قائماً عن يمين الله في مركز الإكرام والعظمة والقوة (أعمال ٧: ٥٦). فبقيامة المسيح وصعوده وجلسه على عرش العظمة رفع معه الطبيعة البشرية، وأوصلها فوق كل مكانة في الكون. إن الإقامة القصيرة التي قضاها على الأرض لم تكن مجرد حضور إلهي أو ظهور وقي لله في صورة بشرية، بل كانت تجسداً حقيقياً ودائماً.

وقد شاهد بعض شخصيات العهد القديم ظهورات إلهية، مثل إبراهيم (تكوين ١٨: ١-٣٣)؛ ويعقوب (تكوين ٣٢: ٢٤-٣٠)؛ وموسى (خروج ٢٤: ٩-١١، ٣٤: ٥، ٦)؛ ويشوع (يشوع ٥: ١٣-١٥)؛ ووالدي شمشون (قضاة ١٣: ٢-٢٢)؛ وإشعياء (إشعياء ٦: ١-٥)؛ والفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعيدنغو (دانيال ٣: ٢-٣٠). لكن تجسد المسيح كان يختلف عن تلك الظهورات اختلافاً جوهرياً. ففي التجسد وُلد كطفل في بيت لحم، ولمدة ثلاث وثلاثين سنة استمر الاتصال بين الله والطبيعة البشرية، بصورة بدت فيها الطبيعة البشرية واضحة جلية.

ولا يمكن المغالاة في تقدير أهمية عقيدة التجسد المسيحية، فيقول الرسول يوحنا:

«كُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحٌ ضِدُّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالْآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ» (١ يوحنا ٤ : ٣) ثم يقول: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ.. مَنْ لَهُ الْإِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ.. وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (١ يوحنا ٥ : ١ و٢٠).

الفصل الثالث:

الميلاد العذراوي

في الأصحاحات الأولى من إنجيلي متى ولوقا وردت قصة ميلاد المسيح من العذراء مريم. وهي توضح أن الإله الرحيم المحب تدخل ليخلص البشر تحقيقاً لمواعيده ولنبيوات الوحي. ونرى في التدخل الإلهي الخلاصي طابعاً معجزياً. ولم تكن المعجزات التي صاحبت مجيء المسيح إلى عالم البشر (بما فيها ميلاده العذراوي) لمجرد سد حاجات فردية مختلفة، بل كانت مرتبة معاً لتنفيذ المخطط الإلهي للفداء، ومركزه السيد المسيح.

لم تكن المعجزات المدونة في الوحي الإلهي التي تختص بتجسد المسيح وقيامته من صنع ظروف تاريخية أو اجتماعية عارضة، لأننا لو أدركنا أن المسيح شخصية غير عادية، سيسهل علينا أن ندرك ضرورة ارتباط تاريخية دخوله وخروجه من عالم البشر بمظاهر تاريخية معجزية غير عادية.. وقد اختار الله أن يكون حبل مريم بالمخلص معجزياً بواسطة الروح القدس، فقال

الملاك لمريم إن المولود منها سيكون له عرش داود. وسمع يوسف أن خطيبته حبلى فقرر حل خطبته من مريم بهدوء، دون أن يسيء إلى سمعتها. لكن ملاك الرب منعه وعرفه ببراءة مريم وبضرورة عدم تخليه عنها، وأن المولود منها سيكون من الجهة القانونية ابناً له، مع أنه لم يكن له بها أي علاقة جسدية. وقبل يوسف مشينة الله بإيمان وزال انزعاجه. وهكذا أعطى الله ليسوع تغطية أبوية قانونية.

ينسجم سجل ولادة المسيح هذا مع مكانته العظيمة ورسالته السامية بين البشر، فادياً لهم ووسيطاً بينهم وبين الله. وقد ظهرت ملامح ألوهيته وبشريته معاً في ولادته العذراوية، واستمرت تزيد وضوحاً أثناء حياته الأرضية وحتى قيامته من الأموات بعد صلبه، فلم يعد هناك شك في أنه ابن العذراء، الإله المتجسد، الذي انتظرت أجيال المؤمنين مجيئه.

لكن أهم جوانب ولادة المسيح العذراوية هو الجانب التاريخي، فلم تكن الولادة العذراوية ادعاءً تمسكت به مريم أو أقاربها للتأكد من تحقيق نبوات الأنبياء على الوليد المنتظر، أو لستر فضيحة صدمت العائلة. صحيح أن مريم كانت أول من عرف بالأمر، لكن معرفتها جاءت قبل إتمامه، فقد أخبرها الملاك بمشيئة الله الطاهرة لها قبل أن يتم من تلك المشينة شيء. ثم أن الله كشف عن تلك الحقيقة ليوسف خطيبها، وللرعاة في البرية، ولحكماء المشرق الذين ساروا وراء النجم غير المعتاد الذي دلهم على مكان ولادة الصبي. أما أليصابات أم يوحنا المعمدان فقد أوحى لها الله بتلك الحقيقة وهي في شهرها السادس من الحمل، ولم يتبق على ولادة ابنها سوى ثلاثة أشهر، فلما التقت بمريم شعرت بتحريك غير طبيعي للجنين الذي تحمله، ففهمت أن مريم هي العذراء

الموعودة التي كانت ستحمل الملك المنتظر التي سيجهز ابنها الطريق لمجيئه (لوقا ١: ٢٣-٥٥).

لا ينكر أحد أن الحبل بيوحنا المعمدان وولادته حدثا بدون تدخل إلهي معجزي، فقد حبلت أليصابات في عمر متأخر، وكانت هي وزوجها عقيمين. إلا أن مولد يوحنا كان نتيجة حبل طبيعي اشترك فيه زكريا وأليصابات. ولم يكن هذا حال ولادة المسيح (لوقا ١: ٢٣-٥) الذي وُلد نتيجة حبل معجزي من عمل الله المباشر، لم يكن لرجل أي دور فيه. فيما عدا هذا الأمر فإن المسيح، كيوحنا وغيره من البشر، حملته أمه في بطنها تسعة أشهر، كما أن خروجه من بطنها كان على نحو طبيعي. لكن التركيز على تفرّد مجيء المسيح إلى عالم البشر يكمن في ولادته العذراوية بالذات، ليس فقط على انفراده بالدور الخلاصي الذي جاء لتنفيذه، بل أيضاً لتمتعه بطبيعته الإلهية والبشرية. وقد حقّق اختياره وسيلة الولادة من عذراء ما أراداه هو بأسلوب واضح وملفت لانتباه البشر.

وقد دلّ ميلاد المسيح من العذراء على أمرين هامين بالنسبة لهويته. أولاً: إن طبيعته الإلهية لم يكن لها أم؛ وثانياً: إن طبيعته البشرية لم يكن لها أب. ابن الإنسان لم يكن ابن أي إنسان. ثم أن هذين الأمرين فصلا المسيح عن الطبيعة الساقطة الموروثة عن آدم التي أصابت باقي البشر، فلولاً ميلاده العذراوي لما صلّح لتنفيذ عملية الخلاص كإنسان، لأنه بدون ذلك يكون قد وُلد في الخطية كباقي البشر. ولولا ميلاده العذراوي ما كان قد حمل تلك الهوية والطبيعة الإلهية غير المحدودة، التي تمكّنه وحدها أن يقوم بحمل خطايا عدد لا يُحصى من البشر الهالكين.

الفصل الرابع:

تواضع المسيح

قال الرسول بولس إن المسيح عند إنجازهِ عمل الفداء «وضع نفسه» (فيلبي ٢: ٨). وجاء في كتاب أصول الإيمان عن هذا الموضوع: «كان اتضاع المسيح بولادته في حالة متدنّية، تجعنه تحت الشريعة، يتحمّل مشقات هذه الحياة وغضب الله والموت المهين على الصليب، ودفنه ومكوّته تحت سلطان الموت إلى حين».

كانت ولادة المسيح المرحلة الأولى في اتضاعه. إنه رئيس المجد الذي يشترك في بهاء وجلال الله الأب، لكنه تنازل واتّخذ طبيعة أدنى جداً من طبيعته الأصلية. ونقول إنه حتى لو دخل العالم كملك متسرّبل بالأرجوان ومتوّج بالذهب لكان ذلك تنازلاً كبيراً. أما أن يولد كطفل عاجز يتكل تماماً على أمه، وأن يكون فقيراً لدرجة أنه لم يكن له مكان يسند فيه رأسه، وكانت حياته معرضة للخطر بسبب اضطهاد هيرودس حتى أن والديه هربا به

إلى مصر. فإن هذه الأمور تكشف عن تنازله الكلي واتضاعه المطلق، لصالحنا. وهذا ما يصعب على عقولنا إدراكه. فمع أنه كان مصدر الشريعة نفسها، فقد اعتاد في نموه على محدودية كيانه البشري، وأخضع نفسه للختان. وهكذا أخذ مكانه تحت الشريعة كما لو كان يهودياً عادياً.

وسكن المسيح في بيت حقير في قرية محتقرة هي الناصرة، وسط جيران خشين، وفي محيط ضيق يهمله دوماً أصحاب الشأن. ومع أنه رب الجميع كان خاضعاً ليوסף ومريم كطفل بشري عادي، وعمل كادحاً في حانوت النجار، وأخضع نفسه لمشقات المساكين والمتضعين. لقد دفعته خدمته الجهارية للاتصال بكل أصناف البشر، ابتداءً بالضعفاء والخطاة، ونزولاً للسفلاء والمنحطين، فلم يتردد عن التعامل معهم جميعاً. ومع أنه كان إلهاً قدوساً طاهراً، فقد عاش هؤلاً يوماً بعد يوم، وكأنه واحد منهم. وكان يأكل مع العشارين المحتقرين ومع الفريسيين المتكبرين. وتعرض للجوع والعطش وشعر بهما مرات كثيرة. لم يكن له موضع يسند فيه رأسه، وقاسى من قسوة واضطهاد زعماء اليهود. ومع أن اتضاع المسيح استمر بشكل أو بآخر في كل مراحل حياته الأرضية، إلا أن آلامه زادت عندما أشرفت خدمته الجهارية على الانتهاء، فقد تعرض وقتها لاختبار أعمق وأقسى، هو اختبار الذل والبغض من أعدائه. ووصلت المذلة إلى ذروتها عندما جرّه أعداؤه محتقراً ومذللاً وسط صيحات السخرية والصياح: «اصلبه! اصلبه!». فبدأ يحمل الدينونة الهائلة التي كان قد سبق رآها آتية على الأمة اليهودية. وكان ألمه وموته على الصليب أشد أنواع الموت وأكثرها رهبة وعذاباً.

لم تكن الآلام الجسدية كل ما احتمله على الصليب، فإنه عومل كما لو كان هو

بالذات قد أخطأ واستحق العقاب؛ كما أن حضور الآب الذي كان يلزمه في كل لحظة من لحظات حياته حُجب عنه في تلك اللحظات. أما نفسه الحساسة فقد تُركت لتتألم وحدها، في خصام عنيف مع قوى الشر الغاشمة التي سعت باستماتة أملاً في تفشيل عمله الفدائي.

أما صراخ عذابه: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟» فهو دليل على شدة ألمه. ولا يمكننا أن نفهم ولو جزئياً مشقة ما احتمله وهو معلق على الصليب، ولكننا نعلم أنه لم يعمل أية خطية، ولم يكن للموت حق فيه. لكنه أخذ مكاننا باختياره، وتحمل العقاب الذي نستحقه نحن. وهكذا كفر عن خطايانا. فلا يمكننا أن نلقي مسؤولية صلبه على يهود ورومن ذلك العصر وحدهم، بل علينا أن نتوب ونتواضع ونعترف بمظهر الجريمة الأوسع.. فخطيتنا نحن، وخطيتهم هم جلبت عليه تلك الآلام المبرحة. لقد تألم بصورة خاصة لأجل المعذبين أفراداً وجماعات، بغض النظر عن العصر الذي يعيشون فيه، لأنه حمل عنهم ذلك العقاب.

ثم أن اتضاع المسيح تم بدفنه في مقبرة أُعدت لبشر لم يكن موتهم متوقعاً فحسب، بل كان أمراً محتوماً، ففي دفنه اشترك مع كل البشر الذين يموتون ويُدفنون، والذين تتحلل أجسادهم وتنتهي. ولكن جسده لم يتحلل، فقد قام أمجد قيامة بعد ثلاثة أيام.

الفصل الخامس:

المسيح ابن الإنسان

أشار يسوع كثيراً إلى نفسه أنه «ابن الإنسان» ويبدو أن هذا اللقب كان مفضلاً لديه. والمعنى الحقيقي والرئيسي لهذا اللقب هو أن يسوع كان إنساناً بكل معنى الكلمة، وأنه الإنسان المثالي الكامل. نرى في المسيح البشرية في كمالها، دون تشويه ولا تلوث، وهو المثال الذي بواسطته ينسّق البشر حياتهم. وبما أن للمسيح طبيعة بشرية، فهو ذو علاقة حيوية بجميع البشر. وبناءً على تدبير الله، له الحق أن يمثلهم جميعاً أمام الحضرة الإلهية.

جاء هذا اللقب في المزمور الثامن إشارة إلى البشر عامة فيقول: «مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَأَبْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟» (مزمور ٨: ٤). لكن الجهد الجديد إذ ينسبه للمسيح، يعطي اللقب مدلولات تفوق البشر، فيقول سفر دانيال، ضمن نبوة عن عودة المسيح إلى السماء: «وَإِذَا مَعَ سَحَابِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ آتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَفَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا

لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ» (دانيال ٧: ١٣، ١٤). وفهم اليهود أن ما جاء في هذه النبوة إشارة لهوية المسيا المنتظر. وأشار المسيح إلى هذه النبوة وهو على يقين تام من انطباقها عليه فقال: «وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَ.. جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابٍ أَسْمَاءٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يَبُوقِ عَظِيمٍ أَلْصَوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا» (متى ٢٤: ٣٠، ٣١ - راجع أيضاً لوقا ٢١: ٢٧).

تُنْتَقَى الأسماء عادة بقصد إبراز ملامح فريدة معينة، كإطلاق لقب على إنسان ما بقصد إظهار شخصيته. فيُقال مثلاً عن فلان «الطيب القلب» وعن آخر «النبيل». واللقب هنا يدل على شخصية صاحبه ويعطي فكرة عن نوعيته. فالتناس لا يُسمون تبعاً لملامح مشتركة مع غيرهم، بل تبعاً للملامح الخاصة التي تميزهم عن أُنْدَادِهِم من البشر. أما المسيح فقد تميّز منذ الأزل بالألوهية التي شارك فيها الآب والروح القدس. فهو شريك لأقنومي اللاهوت الآخرين في ميزات حضورهما في كل مكان، وأزليتهما، وعلمهما بكل شيء. أما موضوع التجسّد فكان مختصاً بالمسيح وحده. تلك هي ميزته الخاصة في نطاق اللاهوت. من هنا لم يكن مدهشاً أن يكون «ابن الإنسان» هو لقب المسيح الزائر المتوقّع للأرض ولساكنيها.

ونلاحظ أن المسيح استعمل لقب «ابن الإنسان» عندما تحدث عن مجيئه ثانية: «لَأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ» (متى ٢٤: ٤٤) .. «وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقُدِّيسِينَ مَعَهُ» (متى ٢٥: ٣١) .. «إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا

هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ» (متى ٢٦: ٢٤) .. «أَبْنَى الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١٠) .. «فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَبْنَى الْإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً» (يوحنا ٦: ٦٢).

قال علماء اللاهوت إن لقب «ابن الإنسان» لقب «انتقالي» ليس فقط لما يعنيه ذلك من تكاتف المسيح مع الجنس البشري تكاتفاً تاماً عند تجسده، بل أيضاً لما في ذلك من إشارة لأصله الأسمى قبل التجسد.

الجزء الثالث

عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد

الفصل الأول

توافق ألوهية المسيح وإنسانيته

لعل أهم وأخطر الانحرافات العقائدية في تاريخ المسيحية هو ما نشأ عن عدم وضوح العلاقة بين طبيعتَي المسيح، الإلهية والبشرية. وكانت هذه الانحرافات قد أُخِلَّت بالتوافق القائم بين هاتين الطبيعتين بتفضيل إحداهما على الأخرى، أو إعطاء الواحدة مكانة تُفقد الطبيعة الأخرى نصيبها أو دورها في اتزان شخصية المسيح، بسبب إساءة فهم فقرة أو أخرى من الوحي الإلهي، خصوصاً وأنَّ سجلات هذا الوحي تشتمل على تعبيرات فيها تنبير على طبيعة المسيح الإلهية، وأخرى فيها تنبير على طبيعته البشرية، إلى جانب تلك التي تجمع بين خواص الطبيعتين.

من هنا كانت إمكانيات إساءة الفهم، لأن البعض بنوا استنتاجاتهم على أساس أن المسيح إلهٌ فقط، وفتشوا على ما يؤكد مزاعمهم هذه في الوحي الإلهي. وأكد البعض الآخر على أنه مجرد إنسان وحاولوا أيضاً أن يثبتوا ذلك من نصوص الوحي

الإلهي في تلك التعبيرات التي تركز على جانب الطبيعة البشرية فيه. وهكذا ظهرت البدعة تلو الأخرى نتيجة لعدم التمسك بالهيكل الكامل للحقيقة.

يشهد التاريخ أن المسيح كان يتمتع بقدرات فاقت جداً كل ما تملكه الطبيعة البشرية، لكن من جهة أخرى فإن طبيعته البشرية طابقت تماماً تلك التي تمتع بها معاصروه من البشر. ومع أنه لا يجوز لنا أن نحاول الفصل بين العناصر الطبيعية وفوق الطبيعية فيه، إلا أن العهد الجديد، ومعتقدات المؤمنين الأوائل ميّزت بين الطبيعتين. فالذين عاصروه وعاشوه هم الذين استخدمهم الله في تدوين ما أوحى به عن هذا الأمر لأجيال المؤمنين اللاحقة من بني البشر، إذا سجلوا شهاداتهم عنه: «الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا.. قَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ.. وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا» (أيوحنا ١ : ١-٤).

أضاف الرب في التجسد إلى طبيعته الإلهية طبيعة بشرية، وهذا يكون شخصية مزدوجة. لم تكن الإضافة بمعنى وجود شخصية إضافية، بل بمعنى إضافة نوعية بشرية إلى الطبيعة اللاهوتية. ففي الوقت الذي لم يتخل فيه عن طبيعته الإلهية لم يتخذ لنفسه شخصية جديدة، بل أخذ لنفسه جميع الجوانب البشرية الاعتيادية التي يتمتع بها البشر، أي أنه أصبح إلى جانب كونه إلهاً وإنساناً أيضاً. هذا كان في طبيعتين متميزتين، ولكنه كما كان منذ الأزل، بقي هو ذاته شخصاً واحداً.

من المؤكد أن هذا الأمر يتضمن ما يمكن أن نسميه لغزاً، لكن طبيعة هذا اللغز ليست غريبة على اختبارنا نحن البشر، فهذا اللغز كامن في طبيعتنا البشرية نحن أيضاً. إن الإنسان يحتوي على جوهرين مختلفين في الأساس. فهو روح أو نفس غير مادية،

خاضعة لتأثيرات فكرية وروحية.. ولكنه جسد مادي خاضع لكل العوامل والقوى الفيزيائية والكيميائية والكهربائية التي تعمل في العالم من حوله. هذان الجانبان في الطبيعة البشرية لم يُصهرا ولم يَختلطا، ولم تكن نتيجتهما هيكلاً ثالثاً دُعي «إنساناً». بل أنّ هذين الجانبين بقيا قائمين أحدهما إلى جانب الآخر في توافق كامل، كما بقيت خواص كل منهما متميزة في الإنسان ذاته. وظلّ كل منهما خاضعاً لشرائع دوره بكل دقة كما لو أنه كان منفصلاً انفصلاً كاملاً عن الآخر. ومع ذلك، عند الإشارة إلى أي من هذه الخواص الإنسانية تكون الإشارة إلى شخصه بالذات. فلا نقول «جسد فلان عمل كذا» أو «نفس فلان قالت أو فكّرت كذا» بل نقول «فلان عمل وفكّر وقال كذا وكذا».

هكذا الأمر بالنسبة لطبيعتي المسيح، فمع أنهما متميزتان إحداهما عن الأخرى فإن ما يُنسب لإحداهما يُنسب لشخص المسيح ككل. من هنا كانت ضرورة الحذر من إساءة فهم تعبيرات الإنجيل التي تبدو وكأنها متناقضة في وصفها للمسيح، فمنها ما يشير إلى أنه شخص غير محدود، وتشير إلى طبيعته الإلهية؛ ومنها ما يشير إلى محدوديته، وهي تلك التي ترد في قرينة الحديث عن طبيعته البشرية. فهو إذن محدود كإنسان ولكنه غير محدود كالله، وهو ذو بداية كإنسان عند ولادته في بيت لحم، ولكنه أيضاً هو الله الموجود أزلاً. وكان كلي المعرفة، وفي نفس الوقت كانت طبيعته البشرية محدودة المعرفة. فهو من جهة تركيب طبيعته «مَنْ نَسَلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ» لكنه أيضاً «تَعَيَّنَ (أي تبرهن) أَبْنَى اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (رومية ١: ٣، ٤).

خلاصة الأمر هي أنّ الكتاب المقدس يقدمه على أساس أنه «ابن داود»، وفي نفس الوقت هو «الأزلي قديم الأيام». هو ابن مريم وفي نفس الوقت هو «إله فوق الجميع، مبارك إلى الأبد». هو الذي شعر بالإرهاق أثناء رحلاته، وفي نفس الوقت هو «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته». وهو الذي «جاع أخيراً» بعد أربعين يوماً من الصوم، وفي نفس الوقت هو الذي أشبع الآلاف وقال عن نفسه: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ.. الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ» (يوحنا ٦: ٤٨-٥١). هو الذي قال إنه لا يقدر أن يعمل شيئاً بدون الآب، وفي نفس الوقت هو الذي بدونه «لم يكن شيء مما كان». إنه «عظم من عظامنا ولحم من لحمنا»، ومع ذلك تمتّع بمساواة مطلقة مع الله، وهو الذي أخذ لنفسه «صورة عبد» تمتّع بكونه «صورة الله». قال الوحي الإلهي عنه إنه «ينمو في القامة» كما قال عنه إنه «هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد». «يتقدم في الحكمة» ومع ذلك كان يعرف كل شيء. قيل عنه «مولود تحت الناموس» لكنه قال عن نفسه إنه «رَبِّ السَّبْتِ وَأَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ». حزنّت نفسه واضطربت وهو «رئيس السلام» (أي مصدره). هو الذي سار إلى الموت بأمر من الحاكم الروماني، كما دُعي «ملك الملوك وَرَبِّ الْأَرْيَابِ». وهو الذي قال: «أَضَعُ نَفْسِي.. لَيْسَ أَخَذَ يَأْخُذْهَا مِنِّي (أي يقتلني) بَلْ أَضَعْتُهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيضاً» (يوحنا ١٠: ١٧، ١٨). صعد إلى السماء وغاب عن تلاميذه وكنيستته، لكنه هو نفسه الذي قال: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠)، وقال لتلاميذه قبل الصعود إنه سيكون معهم «إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠).

يقدم الوحي الإلهي المسيح لنا أحياناً كإله وأحياناً أخرى كإنسان، لكي نفهمه ونعرفه

ونؤمن به كشخص واحد في طبيعتين، كإله كامل وكإنسان كامل، وليس لكي يعطينا الخيار ما بين واحدة من طبيعتيه هاتين. إنه الله المتجسد الذي كانت حياته الأرضية تعبيراً عن أنّ الله جاء إلى عالم البشر، وأعلن ذاته. وهكذا فإن طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية اتحدتا، فسواء دَعَوْنَاهُ يسوع أو المسيح، ابن الله أو ابن الإنسان، فإننا نقصد الشخص نفسه. وعندما نقول إن «يسوع عطش» فإننا نعني أنه كشخص كامل في ألوهيته وناسوته قد عطش وليس جسده فقط. وعندما نقول إنه تألم نقصد بألمه كشخص وليس كمجرد جسد. وهو إذ أخذ مكان الإنسان على الصليب ومات عنه، فإنه لم يعمل ذلك كإنسان فقط، بل نعني أيضاً أن الله في المسيح أخذ مكان الإنسان على الصليب ومات لأجلنا نحن البشر. كل ذلك يعبر عن الحقيقة، لكن وجب علينا أن نبقي نصب أعيننا حقيقة تفرّد شخصه، الذي مكّنه من إنجاز العمل الخلاصي المجيد.

لعل أهم ما يواجهنا به الوحي الإلهي من تعبيرات في شأن انسجام طبيعتي المسيح هو ما نُسب فيه إليه من أعمال وقوى وصفات تنطبق على الطبيعتين في إشارة جليّة إلى المسيح الواحد. هذه التعبيرات التي تنطبق على طبيعته لا يمكن فهمها أو تفسيرها إلا إذا أدركنا أن هاتين الطبيعتين متحدتان عضوياً بشكل غير قابل للفصم أو الانحلال، في شخص واحد هو الإله الإنسان. فيقول الوحي الإلهي عن أعداء المسيح: «صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (١كورنثوس ٢: ٨) ويشير إلى الكنيسة «الَّتِي أَقْتَنَّاها بِدَمِهِ» (أعمال ٢٠: ٢٨)، ويقول: «يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تيموثاوس ٢: ٥).

ويستخدم البعض عبارة «مريم والدة الإله» وهي تحمل بعض الحقيقة، إذ أن

المولود منها كان ابن الله. لكننا في الوقت نفسه يجب أن نتذكر أن مريم كانت والدة يسوع المسيح من جهة طبيعته البشرية فقط.

كان من الضروري لفادي البشر أن يكون إلهاً وإنساناً معاً، لذلك صار إنساناً ليأخذ محل الإنسان فيتألم ويموت بدله. فلو كان إلهاً فقط لما أمكنه عمل ذلك. وضرورة كونه إلهاً هي لإعطاء القيمة والمدى غير المحدودين المطلوبين في الذبيحة الصالحة للتكفير عن خطايا البشر.

من ناحية أخرى: لو كان المسيح مجرد إنسان لما كان بإمكانه الموت حتى عن شخص واحد.

خلاصة الأمر إذن أن طبيعته البشرية جعلت ألمه وموته ممكنين، بينما طبيعته الإلهية جعلت لهذين العنصرين: الألم والموت، القيمة والمدى غير المحدودين والصالحين لتمثيل عدد لا يحصى من الخطاة.

قال يوحنا كالفن: «لكي يمكن للإنسان أن يتصالح مع الله، كان لزاماً عليه وهو الذي دمر نفسه بمعصيته أن ينفذ مطالب العدالة الإلهية بتحمل عقاب خطيته. وأدرك الله في رحمته استحالة ذلك على الإنسان، فأعلن عن نفسه في المسيح كإنسان حقيقي، وأخذ لنفسه صفة «آدم الثاني» ممثلاً بنفسه بني البشر، وجاعلاً من نفسه بديلاً عنهم في طاعة شريعة الله، باذلاً جسده ليوفي مطالب العدالة الإلهية، وهكذا تحمل بنفسه القصاص الواجب على عصياننا جميعاً في طبيعة إنسانية معادلة لطبيعتنا التي فيها ارتكبنا ذنب العصيان. لأنه لما كان مستحيلاً للطبيعة الإلهية أن تموت، فإنه أضاف إلى

طبيعته الإلهية طبيعة بشرية قادرة على ذلك».

وحد المسيح في تجسده مع نفسه طبيعة بشرية، وبقيت شخصيته واحدة متحدة متجانسة ومتناسقة دون تشويش أو اختلال.

الفصل الثاني

وظائف المسيح الثلاث

إن الانسجام الكامل في طبيعتي المسيح (الإلهية والبشرية) له موقع مركزي وحيوي لتحقيق جميع المقاصد الإلهية المتعلقة بعالم البشر، وليس فيما خصّ عملية الخلاص وحدها. لكن تنفيذ عملية الخلاص هو جزء لا يتجزأ من مجمل تلك المقاصد. صحيح أنّ فداء بني البشر هو المحور الأساسي الذي تركز عليه مجموعة مخططات الله. وهذا طبيعي، لأن سقوط البشر بسبب عصيانهم لشريعة الله هو المحك الذي أوجب ليس فقط عملية التجسد والخلاص، بل أيضاً جميع ما يلزم أن يخططه الله لاستئصالها أو إصلاحها أو إعادة بنائها. أمّا تحقيق المسيح لجميع هذه المقاصد الأزلية، وعلى رأسها فداء البشر، فقد جرى ضمن ثلاث وظائف، ووجب عليه أن يكون نبياً وكاهناً وملكاً.

أولاً: المسيح النبي

كانت وظيفة المسيح النبوية ضمن العوامل المميزة للمسيح

الذي تنبأت عنه أسفار العهد القديم، فقال موسى: «يَقْبِمْ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ» (تثنية ١٨: ١٥)، أما في العهد الجديد فقد اقتبس الرسول بطرس نبوة موسى وغيره من الأنبياء وطبقها على المسيح قائلاً: «فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلْآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقْبِمْ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ.. وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُودَيْلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهِذِهِ الْأَيَّامِ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللَّهُ آبَاءَنَا قَائِلًا لِإِبْرَاهِيمَ: وَبَنَسْلكَ تَتَبَارَكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. إِلَيْكُمْ أَوَّلًا إِذْ أَقَامَ اللَّهُ فَنَاهُ يَسُوعَ، أَرْسَلَهُ يَبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ» (أعمال ٣: ٢٢-٢٦).

وتختص وظيفة النبوة في الكتاب المقدس بالذين تكلموا للبشر بالنيابة عن الله. وكان العديد من الأنبياء الحقيقيين قد سبقوا مجيء المسيح، وجميعهم تكلموا بكلام الله للشعب. لكن ما أوحى الله لهم به كان ذا طبيعة تمهيدية وغير مكتملة، وكانوا جميعاً يرمزون للمسيح النبي الأعظم، الذي كانوا قد أتوا ليمهدوا لمجيئه.

يعتقد البعض أن الله أرسل مزيداً من الأنبياء الواحد تلو الآخر لأن الأنبياء السابقين لم ينجحوا في إتمام مهماتهم، أو لسبب حاجة الناس لمن يذكرهم بما سبق وأوحى به للأنبياء السابقين. وهذا ليس صحيحاً، فإن أنبياء الله لم يفشلوا في تحقيق ما أراهم الله أن يحققوه. أما سبب كثرة الأنبياء في حقبة العهد القديم فسببه أن لكل منهم دوره في التمهيد لمجيء المسيح. ولما كان الله صاحب كل سلطان فقد أعطى عصمة خاصة لأنبيائه حين دوّنوا الوحي كاملاً بدون خطأ. وهو في نفس الوقت، بحكمته وسلطانه، عمل على حماية ما دوّنوه من التحريف أو الضياع، عبر الأجيال.

الفصل الثاني: وظائف المسيح الثلاث

وقد قام كل نبي بدوره بكل أمانة وجدارة، مدعوماً بقوة الله في التحضير التدريجي لمجيء المسيح. فلما أن الله كشف عن كل شيء دفعة واحدة لما استطاع البشر أن يستوعبوه، لهذا كانت طبيعة الوحي الإلهي تدريجية وتقدمية، وهذا هو السر الحقيقي وراء ذلك الترابط والتكامل بين أدوار الأنبياء في أسفار الكتاب المقدس. إن المرء الذي يتأمل بالتدقيق في مسيرة هؤلاء الأنبياء لا بد يرى أن الوحي الإلهي قد أخذ شكل هرم متدرج، بنى فيه كل نبي على ما سبق وبناه أنبياء من قبله. أما قمة الهرم فيقف عليها المسيح مكمل الوحي وخاتمه. ليست هذه صورة خيالية أو تخميناً بشرياً، بل هي ما وصفه الرب على فم الرسول بولس: «مُبَيَّنَّ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّائِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبَنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ» (أفسس ٢: ٢٠، ٢١).

بيد أن هناك اختلافاً جوهرياً آخر بين دور المسيح كنبي وأدوار أنبياء الله. لقد تكلم الأنبياء كبشر مسوقين من عند الله وليس من عندهم، بينما تكلم المسيح كالله. كانوا دائماً يصحبون رسالتهم بتعبيرات مثل: «هكذا يقول الرب» ولم تكن لديهم السلطة ولا القدرة على قول أي شيء بالنيابة عن الله، إلا ما أوحى به لهم. أما يسوع فكان يؤكد في رسالته على الدوام أنه يقول ما يقوله بسلطانه هو. عندما أشار لأقوال الأنبياء قال: «قيل لكم»، لكن عندما أشار إلى ما يقوله هو قال: «أما أنا فاقول» أو «الحق الحق أقول لكم». تحدث الأنبياء بالنيابة عن الله، أما المسيح فتحدث بالأصالة عن نفسه وانطلاقاً من سلطانه الشخصي، فأدهش معاصريه الذين لاحظوا أنه يختلف عن الأنبياء ورجال الدين «لأنه كان يعلمهم كمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (متى ٧: ٢٩ ومرقس ١: ٢٢)

«لأنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَطِيعُهُ» (مرقس ١: ٢٧ ولوقا ٤: ٣٦). وقال يسوع أكثر من مرة إن له سلطاناً يفوق سلطان البشر (متى ٩: ٦ ومرقس ٢: ١٠ ولوقا ٥: ٢٤)، ثم أنه أعطى رسله الذين أوحى لهم بكتابة الإنجيل سلطاناً في مسئولياتهم النبوية (متى ١٠: ١ ومرقس ٦: ٧ ولوقا ٩: ١). ففي مهمة المسيح النبوية عبّر عن سلطان لم يكن للأنبياء البشر، بالإضافة إلى تعبيره عن حقّه في إعطائهم سلطاناً يؤدّون به مسئوليتهم.

بالرغم من أن يسوع أشار إلى نفسه كنبي، لديه رسالة خاصة من الله الأب (راجع لوقا ١٣: ٣٣ ويوحنا ٨: ٢٦-٢٨ و١٢: ٤٩، ٥٠ و١٤: ١٠، ٢٤)، إلا أن إعلانه النبوية الخاصة لم تكن في حاجة إلى تأكيد مُعلن على مركزه النبوي، فقد تنبأ عن المستقبل (متى ٢٤: ٣-٣٥ ولوقا ١٩: ٤١-٤٤). ثم إنّ تعاليم المسيح كانت تغلب عليها الطبيعة النبوية، فكان من الطبيعي أن يشير إليه الناس كنبي (متى ٢١: ١١، ٤٦ ولوقا ٧: ١٦، ٢٤: ١٩ ويوحنا ٦: ١٤، ٧: ٤٠، ٩: ١٧). وبالرغم من أن مواصفات النبوة الشائعة في حقبة العهد القديم انطبقت عليه من جهة علاقة تصريحاته بالماضي والحاضر والمستقبل (راجع خروج ١: ٧ و١: ١٨ و١٨: ١٨ و١٢: ٦-٨ وإشعياء ٦ وإرميا ١: ٤-١٠ حزقيال ٣: ١-٤، ١٧)، إلا أن مسيرته النبوية كانت في قدرته على تفسير الشريعة الإلهية وتطبيقها على الحياة اليومية. أما الأنبياء الحقيقيون والذين كان يسوع مثالهم الأسمى فإن تقواهم الحقيقية لم تكن تخفى على أحد. ثم أنهم عبّروا عن ثقة دائمة في الله، وعن رغبة في طاعة شريعته وأوامره الخاصة، حتى إن قادهم ذلك إلى الموت. أما ثقتهم في الله فقد دلّت عليها حياة التضحية التي مارسوها كل يوم، لأنه

الفصل الثاني: وظائف المسيح الثلاث

لم يكن يهتمهم إرضاء البشر على الإطلاق بل إرضاء الله في كل ما يقولونه ويعملونه ويفكرون فيه. أما المعجزات التي صحبت خدمتهم فلم يستعملوها لنيل ربح شخصي، بل على العكس نراهم يقشعرون عندما يحاول أحد أن يعطيهم سلطة إلهية، أو عندما يعتقد البعض أن معجزاتهم ناتجة عن مقدرة كامنة فيهم.

من هنا وجب علينا أن نتذكر أن يسوع لم يكن مجرد نبي عادي، فإن تفوقه المعجزي والأخلاقي لم يكن الفارق الوحيد بينه وبين سائر أنبياء الوحي الإلهي.. في أنه تمتع بمركزه وخدمته النبويتين من قبل مجيئه إلى عالم البشر. إن «روح المسيح» هو الذي دلّ الأنبياء وقادهم وأوحى إليهم من قبل تجسده (١ بطرس ١: ١٠-١٢). كما أن مهمة المسيح النبوية امتدت إلى المستقبل، حتى بعد عودته إلى يمين العظمة في السماء، لأنها كانت ذات فعالية قبل وأثناء تجسده. فهو إذ صعد إلى السماء واصل خدمته النبوية برسلة الأطهار (راجع أعمال ١: ١). ثم أنه لا يزال يقوم بمهمته النبوية بواسطة الروح القدس المعزّي الذي أرسله إلى كنيسته لينعشها ويقويها لتقوم بمطالب كلمته الطاهرة (يوحنا ١٤: ٢٦، ١٦: ١٢-١٤).

ثانياً: المسيح الكاهن

كانت وظيفة المسيح الكهنوتية أيضاً ضمن الخواص المميزة للمسيّا الذي تنبأت عنه أسفار العهد القديم، فقد قيل عنه: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمو ١١٠: ٤). كما قالت النبوة إنه: «يَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْجَلَالَ وَيَجْلِسُ وَيَسْلُطُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَكُونُ كَاهِنًا عَلَى كُرْسِيِّهِ» (زكريا ٦: ١٣). أما الوصف الكامل لمركزه وخدمته الكهنوتية فقد

ورد قبل مجيئه إلى عالم البشر بنحو سبعمائة سنة بعم النبي إشعياء في أصحاح ٥٣. وتُعتبر وظيفة الكهنوت في الكتاب المقدس موازية لوظيفة النبوة. فبينما ينقل النبي رسالة من الله إلى البشر، فإن الكاهن هو الذي يمثّل البشر أمام الله، إما بتقديم ذبائحهم لله نيابة عنهم، أو بنقل صلواتهم وطلباتهم إلى الله. وسبب ذلك أن البشر فقدوا القدرة على الوقوف أمام الله بأنفسهم بسبب فسادهم وخطيتهم. لهذا رتب الله وجود الكهنة من بين البشر الذين أهلهم وأعدّهم للقيام بتلك المهمة الكهنوتية. فلم يكن الشخص العادي يقدر أن يقترب من قدس الأقداس داخل الهيكل حيث تُقدّم الذبائح والصلوات الشفافية الخاصة، لأن الإنسان في حالته الساقطة منفصل أخلاقياً وروحياً عن الله فلا يقدر أن يقف في محضر الله بنفسه. أما الكهنة الذين أقامهم الله عبر أجيال حقبة العهد القديم فقد أعطوا الحق في تمثيل بني البشر أمام المحضر الإلهي، فكان الكاهن يقوم بإعادة العلاقة الطبيعية التي كانت بين الله وبني البشر إلى ما كانت عليه قبل السقوط، ولو بشكل جزئي ومؤقت، فكان الكاهن يقوم بمسؤولية الاعتراف العلني بخطية وعصيان من يمثلهم أمام الله، كما يقوم بتقديم الذبائح الرمزية التي تعبّر عن الرغبة في التوبة عن حالة التمرد تلك والتكفير عنها.

إذن تقع على عاتق الكاهن مهمتان: تمثيل بني البشر؛ والتشفّع فيهم أمام الله. في العهد الجديد نرى أن كهنة العهد القديم لم تكن مهمتهم رغم عظمتها وفعاليتها وجديتها سوى مهمّة رمزية، ترمز إلى الكاهن الأعظم الذي سعى هؤلاء الكهنة للتشبه به. إن المسيح هو المرموز إليه في الذبائح والصلوات التي قاموا بتقديمها.

لعلّ أوضح ما ورد في الوحي الإلهي عن هذا الأمر هو في المضمون الكلي للرسالة إلى العبرانيين، التي أكدت تفوّق مركز المسيح الكهنوتي، وألوهيته، وتفوّق مركزه النبوي على كافة الأنبياء. فبينما أشارت كتب العهد الجديد الأخرى إلى عمل المسيح الكهنوتي (راجع مرقس ١٠: ٤٥ ويوحنا ١: ٢٩ ورومية ٣: ٢٤، ٢٥ و١ كورنثوس ٥: ٧ وغلطية ١: ٤ وأفسس ٥: ٢ و١ يوحنا ٢: ٢ و١ بطرس ٢: ٢٤، ٢٥: ٣)، فإن رسالة العبرانيين شرحت هذا العمل ووضحت أهميته. كما أنها لا تدع مجالاً للشك في أحقية المسيح للقبه الكهنوتي المجيد. وفي هذه الرسالة دُعي المسيح «رئيس كهنه الله» (٣: ١) و«رئيس كهنه عظيم» (٤: ١٤) و«كاهن إلى الأبد» (٥: ٦) و«رئيس كهنه إلى الأبد» (٦: ٢٠) و«رئيس كهنه.. قدّوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات» (٧: ٢٦) و«رئيس كهنه.. قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان» (٨: ١، ٢).

وكما تميّز يسوع كنبي عن جميع الأنبياء، تميّز أيضاً عن جميع الكهنة. هذا ما نراه في جانبي خدمته الكهنوتية بوضوح: أي في عمله الكفاري كفادي البشر وممثلهم الحقيقي أمام الله، وفي عمل وساطته وخدمته الشفاعية كالممثل الأوحد لكنيستته المفدية، أمام الله.

ويشرح الوحي الإلهي عمل المسيح الكفاري، وهو أنه هو وحده الذي كان مؤهلاً لأن يكون فادي البشر، والذي باستطاعته معالجة معضلة سقوطهم وخطيتهم. وما كانت ذبائح العهد القديم سوى رموز يتذكر بها البشر خطيتهم، ويتطلعون إلى قدوم المخلص

الذي يموت قانونياً بالنيابة عنهم» «لأنَّ أَوْلَيْكَ بِذَوْنِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمِ
مِنَ الْغَائِلِ لَهُ: أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مُلْكِي صَادِقٍ. عَلَى
قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ صَاحِباً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. وَأَوْلَيْكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ لِأَنَّ الْمَوْتَ
مَنْعَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَلأنَّهُ يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ
يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّكَمُّلِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.
لأنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَيْنِسٍ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ
وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يَقْدِمَ
ذَبَائِحَ أَوْلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ
فَإِنَّ النَّامُوسَ يَقِيمُ أَنْاساً بِهِمْ ضَعْفَ رُؤَسَاءِ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتَقِيمُ
أَبْنَاءَ مُكْمَلًا إِلَى الْأَبَدِ» (عبرانيين ٧: ٢١-٢٨).

وتختلف ذبيحة المسيح عن ذبائح سائر الكهنة في عدة جوانب:

أولاً: هي ذبيحة حقيقية: فالذبائح السابقة لم تكن لها سوى فائدة واحدة، هي أنها
كانت ترمز إليه «لأنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ دَمَ ثِيرَانٍ وَثُيُوسٍ يَرْفَعَ خَطَايَا.. تِلْكَ الذَّبَائِحُ عَيْنَهَا،
الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيئَةَ» (عبرانيين ١٠: ٤-١١)، أما يسوع فكان
طاهراً، ولا يحل محل الإنسان سوى إنسان «لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: ذَبِيحَةٌ
وَقَرْبَانًا لَمْ تُرَدَّ، وَلَكِنْ هَيَّأْتُ لِي جَسَداً» (عبرانيين ١٠: ٥).

ثانياً: هي ذات مدى غير محدود: فهو كالكاهن الإلهي غير المحدود قدم ذبيحة غير
محدودة الفعالية «لأنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِبِدِّ أَشْبَاهِ الْحَقِيقَةِ، بَلْ إِلَى

السَّمَاءِ عَيْنَهَا، لِيُظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لِأَجْلِنَا. وَلَا لِيُقَدَّمَ نَفْسُهُ مِرَاراً كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ إِلَى الْأَقْدَاسِ كُلِّ سَنَةٍ بِدَمِ آخَرَ» (عبرانيين ٩: ٢٤، ٢٥).

ثالثاً: هي أبدية الأثر: «فَبِهَذِهِ الْمَسِيحَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.. فَبَعْدَ مَا قُدِّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ.. لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ» (عبرانيين ١٠: ١٠، ١٢، ١٤).

إلى جانب الذبيحة العظمى التي قدّمها يسوع كفارة عن خطايا الكثيرين، فإن وظيفته الكهنوتية لها جانب آخر هو شفاعته بالنيابة عن مفديه: «إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ (أي من المؤمنين) فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ» (١ يوحنا ٢: ١). والشفيع هو الشخص الذي يُعين المذنبين ويدافع عنهم، وهو محامي الدفاع أمام محكمة العدالة الإلهية. بالنسبة للمؤمنين «مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً، الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا» (رومية ٨: ٣٤). «هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ جِهِنٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ» (عبرانيين ٧: ٢٥). إنه «يُظْهَرُ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ» لأجل المؤمنين (عبرانيين ٩: ٢٤). أمّا عظمة شفاعته المسيح فقاعدتها هي عظمة ذبيحته الكفارية. أمّا نتيجة تلك الشفاعته النهائية فهي في مجبته الثاني «هُكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضاً، بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيُظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيئَةٍ لِلْخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ» (عبرانيين ٩: ٢٨).

ثالثاً: المسيح الملك

من الطبيعي جداً أن يكون للمسيح نصيبه الأزلي في حكم هذا الكون بطبيعته

الإلهية. ذلك هو حقّه الإلهي. لكن للمسيح مكانته المَلَكِيَّة الخاصة بصفته الوسيط بين الله والناس، مخلص البشر الخطاة. إذن مَلَكِيَّة المسيح تتعلق به كابن الله المتجسد، فهو في طبيعته البشرية إنسان أُعطي سلطاناً خاصاً لتكميل ملكوته الروحي في الكنيسة، وذلك بحفظها وحمايتها وقيادتها نحو المجد الأبدي.

هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فإن المسيح بصفته الفادي والوسيط، لديه سلطان خاص كملك على كل المخلوقات، بما في ذلك الأبالسة والبشر غير المؤمنين. هذا بالطبع يرجع إلى مَلَكِيَّته الفريدة في النهاية عندما يضع جميع أعدائه موطناً لقدميه (مزمور ١١٠: ١)، وحين يكون قد أخضع الكل وصار الكل في الكل (راجع ١ كورنثوس ١٥: ٢٤-٢٨).

إن الجانب الأول من ملكية المسيح إذن يرتبط بعلاقته بالمفديين. فهو ملكهم الروحي، وله سلطة على خلاص وفداء النفس. وكانت المشينة الإلهية قد قضت بأن تكون هذه المسؤولية ضمن مواصفات المسيح المنتظر، كما قال الرب: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي» (مزمور ٢: ٦). هذا هو الوعد المُعْطَى للملك داود، الذي كان رمزاً للمسيح الملك الحقيقي: «أَقْسَمَ الرَّبُّ لِداوُدَ بِالْحَقِّ، لَا يَرْجِعُ عَنْهُ: مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ» (مزمور ١٣٢: ١١). لهذا دُعي يسوع «ملك اليهود» و«ابن داود». وقد وصف الوحي الإلهي المسيح بأن «تكون الرئاسة على كتفه.. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، لثبيتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد» (إشعياء ٩: ٦، ٧. (مicha ٥: ٢ وزكريا ٦: ١٣). وبشّر الملاك مريم أن المسيح: «يَكُونُ عَظِيماً، وَأَبْنُ أَلْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَهُهُ كُرْسِيَّ داوُدَ أَبِيهِ،

وَيَمْلِكُ عَلَى بَنِي يَهُوּوُبَ إِلَى الْآبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَائِيَّةٌ» (لوقا ١: ٣٢، ٣٣). هذا ما أَقَرَّتْ به الجماهير الغفيرة عندما هتفت قائلة: «مُبَارَكُ الْمَلِكِ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ» (لوقا ١٩: ٣٨). وقال يسوع: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ» (يوحنا ١٨: ٣٦).

هذا الجانب الروحي لمملكة المسيح هو في موضعه الملكي على شعبه المؤمنين. وهذه الملكية تتخذ إطاراً روحياً على قلوب وحياة المؤمنين، ولها بُعد روحي هو خلاص الخطاة.

أما وسائط هذا الجانب من ملكه فهي روحية أيضاً: فهو يحكم بواسطة كلمته وروحه. وهو يعتبر عن ملكه هذا بتجميع وحكم وحماية وتكميل كنيسته، ويُسمى في العهد الجديد «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات». ومهما تكن التسمية فإن أعضاء الملكوت الروحي الذي يملك عليهم المسيح هم المؤمنون أعضاء كنيسته الحقيقية المفدية التي اقتناها بدمه (أعمال ٢٠: ٢٨).

لكن للتأثير الروحي لمملكة المسيح، الذي هو ملكوت النور، بُعد أوسع من حياة المؤمنين. فحيثما وجدت كنيسته وتزايد تأثيرها على المجتمع، يُلاحظ نمو غير عادي للأمانة والمحبة والعدالة والطهارة والقداسة والجد والتضحية والسلام. هذا ما يوضحه مثلاً الزارع والشبكة اللذان ضربهما المسيح (متى ١٣: ٢٤-٣٠ و٤٧-٥٠). فعندما يملك المسيح على قلب البشر ينقلهم من ملكوت الظلمة، حيث هم بالطبيعة مستعبدين للنشر، إلى ملكوت النور حيث كل جمال وحسن وصلاح (متى ١٢: ٢٨، لوقا ١٧-٢١ وكولوسي ١: ١٣)، وإذ يرى الناس الحياة المتغيرة في هؤلاء والمخلوقة من جديد

بواسطة روح المسيح، يمجدون الله (متى ٥: ١٦). من هنا كان امتداد تأثير ملكوت المسيح.

لكن ملكوت المسيح المعطى له بعد التجسد امتد بشكل أوسع بعد قيامته، فقال لتلاميذه: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى ٢٨: ١٨). كان هذا جزءاً لا يتجزأ من مقاصد الله الأزلية وعمله «الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسَيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أفسس ١: ٢٠-٢٣). ومع أنه قبل تجسده كان يتمتع بمثل هذا السلطان على كل شيء، إلا أنه بعد قيامته رسَّخ بشكل جديد مُلكه على الكل، وهو في ذلك يتحكَّم في مسار التاريخ البشري بأسره، لأجل تكميل عمله الكفاري، ولأجل حماية كنيسته من كل خطر من شأنه عرقلة مسيرتها الروحية نحو الكمال الذي أراده لها.

الفصل الثالث:

المسيح مكمل نبوات الوحي

تحتوي أسفار العهد القديم على الكثير من النبؤات التي وجّهت المؤمنين وجّهتهم لمجيء المسيح إلى عالمهم البشري، رسمت طريقاً إلى استراحة نهائية بديعة، إذ يظهر المسيح الآتي كالأغاية النهائية لكل شيء، حين يعلن الرب الإله عن نفسه في المع وأكثر الصور وضوحاً، فنرى «عمانوئيل» أي أن الله حلّ بين البشر.

وكان من الضروري أن يتخذ الأمر شكلاً تدريجياً في تاريخ البشر. فلو أن الوحي الإلهي كشف عن عملية التجسّد الإلهي بشكل مفاجئ، لما كان في وسع الناس فهم الأمر على الإطلاق. فكان لا بد لتلك الخطوات التمهيدية أن تأخذ مجراها، لأن الأمر لم يقتصر على مجرد تحضير الظروف التاريخية والاجتماعية والروحية الملائمة لمجيء المسيح، بل لأن البشر أنفسهم كانوا بحاجة إلى إعداد مسبق ليفهموا الظروف والأحداث، فيفهمون معنى التجسّد الإلهي والقصد منه. من هنا كانت الطبيعة التدريجية لنبوات العهد

القديم المختصة بالمسيح. أما تحقيق السيد المسيح لمواصفات تلك النبوات فمُذهل في دقته وتفصيله، لأنه يُعرّف المرء أن المسيح هو وحده الذي يعطي مسار الوحي الإلهي في العهد القديم مغزاه وقصده وكماله.

بدأت نبوات العهد القديم الخاصة بقدوم المخلص مع بداية سجلات الوحي الإلهي نفسها، وسارت جنباً إلى جنب مع تطورات الأحداث. فعندما حدث السقوط نتيجة العصيان والأكل من الشجرة المحرمة وعد الرب آدم وحواء أنه من نسل حواء سيأتي من يسحق رأس الحية التي دبّرت المكيدة (تكوين ٣: ١٥). إن لهذا علاقة خاصة بميلاد المسيح العذراوي من امرأة. من هنا طبق الوحي الإلهي ذلك القول على أسلوب مجيء المسيح بالقول: «لَمَّا جَاءَ مَلَأُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنْ أَمْرَأَةٍ» (غلاطية ٤: ٤). وكان لا بدّ للمسيح، نسل المرأة، أن يتصارع وجهاً لوجه مع الشيطان مدبر السقوط، لأن المسيح هو المخلص، فواجه المسيح إبليس في ثلاث تجارب قبل شروعه في خدمته العلنية (لوقا ٤: ١-١٤)، هزم فيها إبليس ودحره. كما هزم إبليس عندما أخرج الشياطين من أماكن سكنهم في عشرات البشر. لهذا دُعي المسيح «محرراً» (مرقس ٥: ١-٢٠ ولوقا ٤: ٣١-٣٧).

وقد سبق مجيء المسيح إلى عالمنا كثيرون ادّعى كل منهم أنه «المخلص المنتظر». لكن سرعان ما سقطت إدعاءاتهم لما ظهر أن المسيح وحده هو الذي انطبقت عليه أوصاف وتوقعات نبوات الوحي الإلهي. لعلّ هذا هو السبب الرئيسي من وراء وجود تلك التفاصيل الدقيقة في النبوات عن المخلص المنشود.

ويتساءل البعض عن أهمية سلسلتي أنساب المسيح التي أوردتها بشارتا متى ولوقا. لكن تلك الأهمية كامنة في ضرورة التيقن المطلق من صحة هويته. فقد كان مفروضاً أن يأتي من نسل إبراهيم عبر ابنه إسحق وحفيده يعقوب، من سبط يهوذا ومن نسل داود بالذات أيضاً. كما كان من المفترض أن يُولد في بيت لحم، وأن يقضي بعضاً من طفولته في مصر، وتكون نشأته في الجليل. كل هذه كانت أدلة وبراهين تاريخية توفرت فيه.

لكن نبوات الوحي الإلهي تطرقت لمواصفات أخرى يجب توفرها في المسيا المنتظر، لها علاقة حيوية ومباشرة بمهمته الخلاصية كالإنسان المعصوم من الخطأ، المؤهل لأخذ مكان البشر، وكالله المتجسد الذي وحده يقدر أن يقوم بالمهمة المرسومة. من جهة طبيعته البشرية كان لا بد أن يتمتع بعاطفة قوية ومحبة قلبية لبني البشر، تعبيراً عن استعداده للتألم والموت عنهم، كما كان من المفروض عليه أن يبرز كإنسان فريد من نوعه (راجع إشعياء ١١: ٢-٥، ٤٢: ٢-٦). أما من جهة طبيعته الإلهية فقد كان من الضروري إدراك أن وجوده سابق لميلاده، وأنه «أتى» إلى عالم البشر من عالم آخر (راجع إشعياء ٦٣: ١). كان من المفروض أيضاً أن تنطبق عليه أوصاف لا تنطبق إلا على الله، فيُدعى «عمانوئيل» (أي أن الله حلّ مع البشر). و«يسوع» (أي المخلص) و«الإله القدير» و«الأب الأبدي» و«رئيس السلام» (إشعياء ٧: ١٤، ٩: ٦).

وكان يجب أن يكون نور العالم الذي يقضي على الظلمة (قارن إشعياء ٩: ٢ مع يوحنا ٨: ١٢) فلو أن بني البشر لم يكونوا على وعي بالظلمة الروحية حولهم لما كان لمجيء النور الروحي معنى. وقد أبرز إفلاس البشر الروحي وفشلهم الذريع في

إرضاء الله بمجهوداتهم الدينية الخاصة، مما حتم أن يكون حل المشكلة من خارجهم. كان من الواضح أنه إذا أمكن الوصول إلى حل لمعضلة فشل البشر في إرضاء عدالة الله وقداسته، فإن ذلك لا بد أن يأتي عبر مبادرة إلهية خاصة. لكن مع كل ذلك كان على البشر أن يدركوا حاجتهم إلى تقديم ذبائح رمزية للتكفير عن خطاياهم، كما كانوا في حاجة إلى إدراك عمق الهوة الروحية التي تفصلهم عن قداسة الله، مما تطلب وجود كهنة وسطاء بينهم وبين الله. فلو أن المسيح جاء فجأة لتقديم نفسه كالكاهن والوسيط والذبيحة الحقيقية التي تحطم الحاجز بين الله والناس، لما فهم البشر مهمته على الإطلاق. فكان يجب أن يدركوا وجود ذلك الحاجز الروحي الذي أقامته الخطية بينهم وبين الله، وبالتالي حاجتهم إلى إزالة ذلك الحاجز. عندئذ فقط يأتي «ملء الزمان» أي يصبح كل شيء جاهزاً ومُعَدّاً لعملية التجسد والخلاص.

يشهد التاريخ بشكل قاطع لواقعة الصلب، كما أن النبوات قد سبقت وتحدثت عنها بالتفصيل (راجع نبوة إشعياء ٥٣). ويشرح الكتاب المقدس بعهديه الضرورة الملحة والمحتومة لاسترجاع العلاقة الروحية المفقودة بين الله الخالق والبشر المخلوقين. فمجيء الأنبياء ونزول الشرائع الإلهية لها أدوارها الخاصة في التجهيز لمجيء المسيح.

إضافة إلى ذلك نجد أن مسار التاريخ البشري حول محيط شعب الله في العهد القديم، ابتداءً من عبوديتهم في مصر وخروجهم منها، إلى تأسيس مملكتهم تحت قيادة الملك داود وابنه سليمان، وتطورها التدريجي وصولاً بتحطُّمها وسبي الأمة بأسرها إلى بلدان نائية - كل هذا أشار باتزان وانسجام وترابط كامل إلى ضرورة تدخّل الله

المباشر وإنجازه عملية الخلاص.

لكن دور النبوات التي قدمت إشارات ومواصفات مباشرة عن المخلص الآتي يبقى جوهرياً في العملية كلها. فقد كان ضرورياً أن يُعطى البشر الأدلة والعلامات التي تمكنهم من التمييز بين من ادّعوا كذباً أنهم المسيا المنتظر، وبين صدق المسيا الحقيقي. فلو أن الأمر ترك لهم للتخمين لفقدت سجلات الوحي الإلهي هدفها وحيويتها وانسجامها، ولبقي الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام كل مدّعي نبوة أن يطبق على نفسه مواعيد الله بقدم المخلص.

وقد اعتبر الأنبياء الذين أوحى لهم الله بتفاصيل قدوم المخلص أنهم أدوات طيّعة في التمهيد لذلك الحدث الذي سيكون في «الأيام الأخيرة» أو في «ملء الزمان». لم يقل أحد منهم، ولا حتى في تلميح واحد إنه هو أفضل الأنبياء. كل واحد منهم أدّى دوره في التمهيد لمجيء المسيح بدون تردد أو رغبة في تحسين مركزه الشخصي أو تجميع أتباع له. عندما تحدّث موسى عن مجيء المسيح قال للشعب: «له تسمعون» (تثنية ١٨: ١٥)، ودعاه داود «رَبِّي» (مزمو ١١٠: ١)، وقال المعمدان عنه: «الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحَقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُبُورَ جَدَانِهِ» (يوحنا ١: ٢٧)، وقال: «هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ» (يوحنا ١: ٣٤)، وقال: «هُوَ ذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» (يوحنا ١: ٢٩). واقتبس المسيح أقوال كثيرين منهم، قال: «مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الْآبِ وَتَعَلَّمَ يَقْبَلْ إِلَيَّ. لَيْسَ أَنْ أَحَدًا رَأَى الْآبَ إِلَّا الَّذِي مِنَ اللَّهِ. هَذَا قَدْ رَأَى الْآبَ. الْحَقُّ الْخَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْرُ الْحَيَاةِ. أَبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنِّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْرُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ،

لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْرُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْرِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. وَالْخُبْرُ الَّذِي أَنَا أُعْطِيَ هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْدَلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يوحنا ٦: ٤٥-٥١). لقد رأى المسيح أن دور كل الأنبياء وكل ما أعلنه الوحي الإلهي جاء ليجهز العالم لمجيئه، فعندما ذكرت المرأة السامرية أقوال الأنبياء قالت: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيحًا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». كان رد يسوع عليها: «أَنَا الَّذِي أَكَلْتُكَ هُوَ» (يوحنا ٤: ٢٥، ٢٦) وعندما قال له اليهود: «أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ. وَالْأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟» لم يتردد في أن يكشف عن تفوقه وعظمة مكانته فوق كل الأنبياء، فأجابهم: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ.. قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَاتِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٣-٥٨)

لم يحقق المسيح نبوات العهد القديم فحسب، بل أنه كان محور وقصد كل ما تضمنته الوحي الإلهي.

الفصل الرابع:

حياة المسيح حققت خطة الخلاص

عندما ندرس تعاليم المخلص في الإنجيل المقدس، ندرك أن المسيح جاء إلى عالم البشر ليتم رسالة خاصة، وأنه عاش حياته وحقق عمله الخلاصي تبعاً لمخطط إلهي رُسم مسبقاً. وكان ذلك المخطط واضحاً أمام عينيه، كما يظهر لنا منذ بدء حياته العننية. وبالرغم من أهمية كل لحظة في حياته فإنه لم تنبُ عليه ملامح استعجال الأمور، لأنه كان يملك الوقت الكافي ليقوم بكل تفاصيل مهمته الخلاصية. ولم يكن مرة واحدة فريسة للظروف، بل كان دائماً سيدها وموجهها. لم تبعده معارضة البشر عن هدفه المنشود، إذ أنه سار نحو تحقيق الرسالة التي أسندها الله إليه.

كانت حياة المسيح تهدف إلى ضرورة إنجاز ذلك المخطط الإلهي، فقال في مستهل خدمته العننية: «يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْأُمَمَ الْأَخْرَى أَيْضاً بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، لِأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ» (لوقا ٤: ٤٣)، و«أَبْتَدَأُ بِعَلْمِهِمْ أَنَّ أَبْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنْ

أَلَشُّيُوحِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ» (مرقس ٨: ٣١). وأخبر ملاك الرب بعض النساء بقيامة المسيح، فقال: «لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ! أَذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ قَائِلًا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أَنْاسٍ خُطَاةٍ، وَيُضَلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ» (لوقا ٢٤: ٦، ٧).

في بحثنا لموضوع وجوده الأزلي السابق لتجسده أشرنا إلى التعبيرات التي يستعملها الإنجيل للإشارة إلى ذلك، مثل «جاء» أو «أُرسل» لينجز مهمة معينة، يعود بعدها إلى السماء. وتضمنت خطة المسيح أحداثاً مثل رحلته الأخيرة إلى اورشليم، ورفض زعماء الكهنة وشيوخ اليهود له، ثم خيانة يهوذا، فالقبض عليه، وآلامه وموته على الصليب وقيامته في اليوم الثالث.

لم تكن هذه الأمور متوقعة فقط، أو سبق وأخبرت بها نبوات الأنبياء فحسب، بل إن الإنجيل عرضها جميعاً كأمر حتمية في عملية إنجاز رسالة المسيح الخلاصية. فبعد قيامته من الموت قال لتلاميذه: «هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ، أَنَّهُ لَا يَدُ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيَّ فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ». جِينَنْدِ فَتَحْ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحُ يَتَأَلَّمَ وَيَقُومَ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمِ» (لوقا ٢٤: ٤٤-٤٧).

إن قيام شخص يتمتع بمثل هذه المكانة الإلهية بمهمة كهذه، لا بد أن يكون متواضعاً في كل خطوة من أنه اختبر مقاومة مرّة من معارضيهِ ومن رجال الدين اليهود.

الفصل الرابع: حياة المسيح حققت خطة الخلاص

وقد أظهر المسيح تواضعه بأخذه طبيعة بشرية، وُولد طفلاً ضعيفاً، معرضاً لكافة محدوديات وضعفات الطبيعة البشرية لثلاث وثلاثين سنة. ومع ذلك توصف رسالته في الإنجيل على أساس أن كل عنصر فيها تمّ على أكمل وجه وبصورة لا يعترىها تكلف. فكل فكرة عُرضت على المسيح للتهرّب من تتميم رسالته باستخدام قوّته الفائقة الطبيعة وريح مجد البشر، نظر إليها كتجربة من عند الشيطان. لقد جاء إلى عالمنا لإتمام رسالة واحدة، هي أن يكون كفارة عن الخطية بصليبه.

كانت كل الأمور التي قادت إلى هذا العمل الأساسي قد رسمها الله بالذات، لا ككوارث بل كانتصارات حددها هو بنفسه، وليس أعداؤه. ومع أن عملية الصلب بدت غريبة لتلاميذه، إلا أنها لم تكن سوى تكملة لمهمة جاء ليقوم بها، لفتح باب جديد وثابت لملوكوت من الحياة.

شرح لنا سفر الأعمال جمال السلطان والتوجيه الإلهيين في حياة يسوع. فالصّلب مع أنه أبشع شرّ في تاريخ البشرية، إلا أن سفر الأعمال يقول إنه من ترتيب إلهي مسبق. نقرأ مثلاً: «لأنّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتُهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنْتَ يَدَكَ وَمَشُورَتَكَ أَنْ يَكُونَ» (أعمال ٤: ٢٧، ٢٨). وقال بطرس في موعظته يوم الخمسين: «هَذَا (أي يسوع) أَخَذْتُمُوهُ مُسَلِّمًا بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُخْتَوِمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ» (أعمال ٢: ٢٣).

ويجب أن نلاحظ مدى السلطان العجيب الذي عبّر عنه يسوع المسيح في أحاديثه.

لقد لجأ العديد من الأنبياء الذين سبقوا مجيئه لبدء نبوتهم بالقول: «هكذا يقول الرب». لكن المسيح لم يلجأ إلى نفس الأسلوب، ولم يشير إلى سلطة خارجة عنه، بل كان يضع نفسه في علاقة الله بشعبه، ولذلك تكلم باسمه وبسلطانه الشخصي النهائي، ففي موعظته على الجبل (متى ٥-٧) تكلم بسلطان المشرع. وذكر أوامره مراراً وتكراراً على أساس أنها جزء من شريعة الله، وقال: «سمعتم أنه قيل.. وأما أنا فأقول».

اعتبر المسيح المضطهدين لأجله معادلين للأنبياء الذين اضطهدهوا في سبيل الله (متى ٥: ١١، ١٢)، وأعطى نفسه حق المشرع الأعلى الذي يسمح للبشر بالدخول في ملكوت السموات وقال: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنْبَأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَجِئْنِيذِ أَصْرَحْ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! أَذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ» (متى ٧: ٢١-٢٣).

وأعلن البشير متى تفوق المسيح على سائر معاصريه من علماء الدين اليهود، فقال: «فَلَمَّا اكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بُهَتَّ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ، وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (متى ٧: ٢٨، ٢٩). ونسب المسيح لنفسه سلطة تفوق سائر الفرائض والشرائع المقدسة التي أوحى بها الله لشعبه. فقال إنه «أَعْظَمُ مِنْ أَلِهَيْكَلٍ!.. أَبْنِ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ» (متى ١٢: ٨) «وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ» (متى ٢٤: ٣٥).

الفصل الرابع: حياة المسيح حققت خطة الخلاص

لا بد أن المسيح عرّف نفسه، لا كمن هو في حاجة إلى خلاص، بل كمخلص؛ ولا كعضو في جماعة الإيمان (أي الكنيسة) بل كرأسها؛ ولا كمؤمن مثالي، بل كمن هو موضوع إيمان جميع المؤمنين. وهو لم يصل فقط، بل هو من تُرْفَع إليه الصلاة. ثم أخيراً قدّم نفسه ليس معلماً للبشر فحسب، بل ربّاً وسيّداً لهم.



من إصدارات: مطبوعات نظرة للمستقبل

أولاً: سلسلة قضايا معاصرة

١- الزواج والطلاق في المسيحية.

٢- الزواج في المسيحية.

٣- العنف ضد المرأة.

ثانياً: سلسلة مفاهيم كتابية

١- نؤمن بإله واحد.

٢- كنيسة .. كنيسة واحدة.

٣- الموت في المفهوم المسيحي؟.

٤- عودة المسيح ثانية ودينونة العالم.

٥- الله ظهر في الجسد.

ثالثاً: منهاج تلمذة: نظرة للمستقبل.

١- إعلان الله عن ذاته.

٢- خلاص الله.

٣- العلاقة مع الله والإنسان.

٤- مسؤولية الإنسان.

الله ظهر في الجسد

شهادة المسيح عن الوهيته هي أهم شهادة، فهو لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب، بل كان لديه اقتناع واضح انه هو نفسه ذو طبيعة الهية. قال ان عمله مطابق لعمل الآب: «لأنّ مهّما عمل ذاك فهذا يعملُه الابنُ كذلك» (يوحنا ٥ : ١٩).

وتشهد كلماته في الاسبوع الأخير من حياته على الأرض انه الله، وبعد قيامته من الموت وقبل صعوده قال لتلاميذه: «دفع إلى كلّ سلطان في السّماء وعلى الأرض».

لقد أعلن يسوع المسيح أنه يتمتع بصفة الألوهية، كما تتفق شهادة كُتّاب العهد الجديد مع تعاليم المسيح وشهادته عن الوهيته.

ولابد لكل من يدرس العهد الجديد بطريقة موضوعية ان يصل إلى نفس النتيجة. وهذا هو الانطباع السائد بين الجماهير الغفيرة من قراء العهد الجديد عبر العصور والأجيال.

